مجلة الإحياء، المجلد: 19، العدد: 23، ديسمبر 2019، ص - ص: 653 – 694
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

دور الدكتور أحمد الشريف سعدان في الحركة الوطنية الجزائرية وإسهاماته في تفعيل النشاط السياسي ببسكرة 1927- 1948م

The Role of Dr.Ahmed El Cherif Saadane in the Algerian National Movement and his Contributions to Political Activities in Biskra: 1927-1948

د/ وافية نفطي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)
nafti-wafia@live.fr

تاريخ الإرسال: 2019/10/16 تاريخ القبول: 2019/12/09

الملخص:
الدكتور أحمد الشريف سعدان أحد رجال الحركة الوطنية الجزائرية، فرغم قصر فترة نضاله السياسي منذ بداية الثلاثينيات إلى غاية وفاته في نوفمبر 1948، إلا أن عطاءه كان كبيرا ومساهماته كانت متعددة ومتشعبة سواء داخل مجلس بلدية بسكرة كمستشار عام وممثل لفدرالية المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة، وداخل الكشافة الإسلامية وتنشئة الجيل الجديد، ومن خلال الجمعيات الخيرية والسياسية، كما بنى علاقات طيبة، وصداقة وأخوة مع رجال الحركة الوطنية الجزائرية خاصة رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: الشيخ محمد خير الدين، الأمين العمودي، الطيب العقبي، محمد العيد آل خليفة وغيرهم، وترك بصماته في كل مكان وجد فيه أو تنقل إليه، في بسكرة والأوراس والوادي والجزائر العاصمة وقسنطينة وحتى باريس حيث لقبته الإدارة الاستعمارية الفرنسية بـ"الحنش الأزرق". ومن خلال هذه الورقة

البحثية سوف نحاول أن نتعرف على هذا الرجل الذي جمع بين مهنة الطب والنشاط السياسي.

الكلمات المفتاحية: الطب والسياسة؛ بسكرة؛ الانتخابات العمالية؛ الحكم العسكري بالجنوب؛ المؤتمر الإسلامي 1936؛

Abstract:

Dr Ahmed Cherif Saadan was one of the most respected member of The Algerian National Movements. He had politically been active since his early thirties untill his death in 1948. He was involved in various political activities and participated not only in Biskra's Municipal Council (in which he served as its general counsel and representative of the muslim federal electorate of Constantine Association) but in addition to that, he was also involved in The Islamic Scouts. It was through charities and political association that he was able to build strong and friendly relationships with prominent leaders of the national movements;especially The ones of The Muslim Scholars Association such as Sheikh Mohamed Kheir Addin, El Amine El Amoud,Tayeb El Akbi and Mohamed El Aid Al Khalifa as well as many others. He left so many foot prints everywhere he went, from Biskra, Aures,El wad,Algiers Constantine and even as far as Paris (France) and for which he was called (The Blue Snake).

Throughout this resaerch paper, we will try to shed some lights on this prominent persanality who mixed a humanaterian career with intense political activities.

key words: Dr Saadane؛ Medecine an Politics؛ Biskra'scounsel election؛ Military rule in the South ؛ Islamic conference 1936.

مقدّمة:

يندرج هذا العمل ضمن المساهمة في كتابه تاريخ السير والتراجم للأعلام الذين تزخر بهم الجزائر في إطار العمل النضالي. وغايتنا هي نفض غبار الغفلة والنسيان عنها؛ فكثير من الشخصيات الوطنية لا تزال مغمورة تحتاج أن نزيل اللثام عنها، والتعرف عليها عن قرب ولا تبقى مجرد أسماء تعلق على جدران المؤسسات التعليمية والحكومية، ولكي يطلع عليها هذا الجيل؛ فالحركة الوطنية الجزائرية بكل اتجاهاتها وإيديولوجياتها كان رجالتها كثر عملوا جنبا إلى جنب في كثير من المرات وفي العديد من المواقف وكان الكل له دوره ومجاله وساحته في النضال السياسي الوطني لصالح المجتمع الجزائري والأمة الجزائرية في سبيل التخلص من القبضة الاستعمارية. والنخبة الجزائرية المثقفة ثقافة فرنسية لم تستثن عن هذا المسار- وهذا لا يخفى على كثير من الدارسين- فعلى الرغم من اتجاهها الإدماجي فقد لعبت بعض الشخصيات التي راهنت على مسألة الحفاظ على الأحوال الشخصية، دورا حاسما في سبيل إصلاح أوضاع المجتمع والتكلم باسمه والدفاع عنه داخل مجالس البلديات وحتى داخل الجمعية التأسيسية الفرنسية بباريس.

وكان الدكتور أحمد الشريف سعدان من بين هؤلاء فرغم قصر فترة نضاله السياسي ونشاطه داخل الحركة الوطنية، منذ بداية الثلاثينيات إلى غاية وفاته في نوفمبر 1948، إلا أن عطاءه كان كبيرا ومساهماته كانت متعددة ومتشعبة.

فهو أحد الشخصيات البارزة في فيدرالية النواب المسلمين الجزائريين لعمالة قسنطينة ذات التيار الإدماجي، ومثلها كمستشار عام ببلدية بسكرة سنة 1934م. وأهم رجل في حركة أحباب البيان والحرية(1944-1945م)، ثم حزب الاتحاد الديمقراطي الجزائري ما بين 1946-1948م.

وقد ساهم في تفعيل النشاط السياسي بمدينة بسكرة من خلال دوره الفعال في الكشافة الإسلامية وتنشئة الجيل الجديد، ومن خلال الجمعيات الخيرية، والرياضية والسياسية، كما بنى علاقات طيبة، وصداقة وأخوة مع رجال الحركة الوطنية الجزائرية خاصة رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: الشيخ محمد خير الدين، الأمين العمودي، الطيب العقبي، محمد العيد آل خليفة

وغيرهم، وصديقه الحميم علي مرحوم. ترك بصماته في كل مكان وجد فيه أو تنقل إليه، في بسكرة والأوراس والوادي والجزائر العاصمة وقسنطينة وحتى باريس حيث كان يلقب بـ"الحنش الأزرق".

هو رجل جمع بين مهنة الطب وممارسة السياسة، فقد كان ملجأ لكل ضعيف ومظلوم ومأوى لكل سقيم وفقير، كما وصفه أحد أصدقائه المقربين إليه. وقد أفنى حياته في سبيل الدفاع عن حق الشعب الجزائري في الحياة الكريمة ورفع الذل والمهانة عنه وناضل من أجل إلغاء الحكم العسكري في مقاطعة الجنوب، حيث كان هذا المطلب من ضمن أولوياته السياسية. لقد كان شديد اللهجة في خطاباته جريئا في طروحاته لا يخاف في ذلك لومة لائم.

وعلى الرغم من تعدد وتنوع نشاطه السياسي، ومواقفه الإنسانية التي يشهد له بها المجتمع البسكري إلا أنه لم يحظ بالدراسة والاهتمام من جانب الباحثين، وذلك يرجع لقلة المصادر والمراجع حول هذه الشخصية إلا ما كتبه عنه بعض معاصريه وأصدقائه من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي نشرت بجريدتي الشهاب والبصائر، وجريدة ضربة الخيزران(Le coup de bambou) التي كانت تصدر ببسكرة وتناصر كتلة النواب عامة والدكتور سعدان خاصة. ومن أجل التعرف أكثر حول نضاله السياسي ودوره الإنساني نطرح الإشكالية التالية: فيما تمثل النضال السياسي للدكتور أحمد شريف سعدان في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين 1927-1948م؟ ما هي البصمات التي تركها داخل المجتمع البسكري؟

1- المولد والنشأة والتعلم: هو احمد الشريف سعدان أصله من قبيلة أولاد "بوفاهة" بنواحي الميلية (ولاية جيجل). ولد في 4 نوفمبر 1893 بباتنة من عائلة فقيرة متواضعة، فقد انتقل والده إلى باتنة في طلب العيش، والسعي في سبيل الارتزاق فتحسنت أحواله المادية نوعا ما، فحمله ذلك إلى العناية بتربية أولاده وتعليمهم[1].

زاول تعليمه الابتدائي الفرنسي بباتنة وكذلك تعلمه القرآني العربي ثم انتقل إلى المدرسة الرسمية بقسنطينة، فتحصل على شهادة سنة الرابعة. ثم التحق بعد

ذلك بـ"الليسي" قسنطينة – ثانوية قسنطينة- ومكث فيه المدة التي مكنته من نيل القسم الأول والثاني من "البكالوريا"[2].

إن طموح احمد الشريف كان كبيرا في الدراسة ولم يقنع بما تحصل إليه من شهادة متواضعة وأماله كانت كبيرة في تحصيل أكثر للعلم والذهاب إلى بعيد جدا وفي هذا المنحى يضيف الشيخ محمد خير الدين[3] حول دراسته بقسنطينة ودخوله للمدرسة العربية الحكومية بقسنطينة:«... ولعله- أو لعل من أدخله بها- كان يريد أن يتهيأ للسلك الإداري الضيق، المحدود المورد، المضروب على يد محترفيه من موظفي الديانة الإسلامية الرسمية في الجزائر. لقد كانت نفس سعدان عزوفا عن مثل هذا اللون من الحياة فأنفها و أباها واستنكف أن يحياها وهكذا لم يتخذ المدرسة إلا سلما لإتقان العربية والتضلع فيها فانتقل إلى الكلية الجزائرية ليتهيأ إلى مرحلة أعظم في حياته الثقافية... »[4].

ولتحقيق هذا الطموح التحق بكلية الطب بالجزائر، رغم فقر والده وشدة احتياجه إليه ثم بعد ذلك انتقل إلى فرنسا لاستكمال دراسته في الطب والتخصص وبالتحديد إلى تولوز حيث تم دراسته وخرج يحمل شهادة خاصة في طب التشريح زيادة على شهادة الطب العام[5]. علما أنه يحمل أيضا شهادة عدل في القضاء الإسلامي من مدرسة قسنطينة.

وخلال فترة تواجده في فرنسا تعرف على أسرة فرنسية وجد منها الإعانة والرعاية مما جعله يقترن بإحدى بناتها، وقد عاشت معه هذه الزوجة وأنجبت له ولدا اسماه محمد الصالح[6]، أما الأم فقد كانت تدعوه باسم "موريس"[7].

ساهمت نشأته الأولى وموارده العلمية وتنقلاته بين قسنطينة والجزائر وفرنسا في تكوينه العلمي والسياسي أيضا، ففي هذه الفترة عرفت الجزائر الإرهاصات والبوادر الأولى للحركة الوطنية الجزائرية وبداية النشاط الإصلاحي والسياسي مع كتلة المحافظين وأيضا النخبة وحركة الشباب الجزائري بقيادة الأمير خالد. ففي قسنطينة انفتح وعيه على أصوات العلماء الداعين إلى الإصلاح مثل الشيخ صالح بن مهنة والشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ عبد الحميد بن باديس[8].

عندما كان بفرنسا التقى بالأمير خالد الجزائري[9] وصحبه مدة من الزمن استوحى من خلالها أساسيات الكفاح السياسي ضد المستعمر الفرنسي[10]. وحسب شهادة عبد الحميد زردوم، أن الدكتور سعدان كان من بين المؤسسين لجمعية الطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية خلال 1919- 1920[11].

عاد أحمد الشريف سعدان إلى الجزائر عام 1921، فباشر العمل بقرية صغيرة قرب مدينة عنابة بصفته طبيبا استعماريا، ولبث بها مدة ست سنوات إلى أن غادرها في أوائل جانفي 1927 إلى مدينة بسكرة واستقر بها واندمج في سكانها. ويذكر على مرحوم[12] سبب تركه لهذه القرية: « ثم تركها بعد أن حرمته الحكومة من منحة "الثلث الاستعماري" التي تعطى لكل موظف استعماري في الجزائر. ومن ذلك الحين بدأ الرجل يتذوق طعم العدل الحكومي في هذا الوطن ويرى كيف تطبق الديمقراطية الفرنسية في بلاد المستعمرات، بكيفية غريبة لا تعمل بها أم الوطن، التي شاهد فيها الحرية والديمقراطية بالجملة والتفصيل، وهما في متناول الجميع، وسمع من أفواه أساتذته الفرنسيين كثيرا من الأقوال التي تجعل من فرنسا رسولة الحرية والعدالة في هذا العالم. وتجعل من أبطال الثورة الفرنسية ملائكة أبرارا جاءوا لتحرير البشرية من أوزار الظلم والجور... وشتان بين الأقوال والأفعال...فقد عاين الرجل ما يكذب هذه الدعاوي ... فأضمر منذ ذلك اليوم في نفسه بغض الاستعمار، وعزم على مقاومته، وآمن باستحالة المساواة في شريعة الاستعمار بين المسلم الجزائري، والمعمر الفرنسي، مادام الأول متمسك بإسلامه وعروبته، معتزا بها في حياته»[13].

والأرجح أن سبب تركه لهذه الوظيفة هو تواجده بقرية نائية[14] لا تتوفر على شروط القيام بالنشاط السياسي في حين أن مدينة بسكرة التي اختارها كمقر لاستقراره كانت عكس ذلك. فقد عرفت بسكرة خلال هذه الفترة قمة النشاط الفكري والإصلاحي مع تواجد الشيخ الطيب العقبي، كما عرفت نشاطا صحفيا مبكرا ، فكان هذا عامل استقطاب للنخب العلمية والفكرية، وهناك من يرى أنها كانت تنافس مدينة قسنطينة[15].

بعض صفاته: لقد وصفه المعاصرون بأوصاف قلما تجتمع في رجل واحد فقد تميز بالنبل والشجاعة واللين والعطف والإنسانية والرجولة، هذه الأخيرة التي عرفها علي مرحوم كما يلي: «... ولكن أعنى ذلك الرجولة الفذة التي تفرض احترامها على الجميع، وترغم الجميع على طأطأة الرؤوس أمامها، طوعا أو إكراها، في الحياة وبعد الموت ورجولة هذا الرجل المتحدث عنه، من هذا النوع الآخر، الذي يشذ عن المقياس المتعارف، ويختلف عما أصلح عليه الناس من معنى الرجولة، ويظهر مظهر آخر يلفت إليه الأنظار، ولا تفتأ العيون ترمقه بالإجلال والإكبار.» [16].

أما عن مواصفاته فيضيف على مرحوم:« عرفته- وقد نيف على الأربعين من عمره- رجلا عريض الجبهة، كبير الرأس، حاد النظار والنظارة، نحيف الجسم مستطيلة، جميل الشكل جذابة، تميل بشرته إلى السمرة قليلا، يغريك منظره بحبه والانجذاب نحوه لمجرد رؤيته يتكلم بهدوء ورزانة وثقة بالنفس، بأسلوب عربي خالي من التكلف أو العجمة، ولهجة حلوة لطيفة، تسحر السامع سحرا، آل ذلك في تواضع وبشاشة، ينمان عن سعة صدر، ودماثة أخلاق، وبعد نظر، وفهم للحياة بالمعنى الروحاني السامي، الذي يفهمه بها كبار الفلاسفة الحكماء، الذين ارتفعت نفوسهم عن صفار المادة وأدرانها»[17].

أما السلطات الفرنسية فقد لقبته – خاصة الصحف الاستعمارية- "بالحنش الأزرق" فما كان يجدي معه الترغيب ولا الترهيب[18]. لأنها كانت تراه خطرا على الوجود الفرنسي في الجزائر لأنه كان متمسكا بمقوماته الجزائرية العربية الإسلامية ولسانه العربي رغم ثقافته الفرنسية وضلوعه في اللغة الفرنسية.

كان يمثل خطرا كبيرا للسلطات الفرنسية، مما جعلها تشدد الرقابة عليه وتبث العيون للتجسس عليه ومتابعته في خطواته خاصة بعدما اظهر صراحة دفاعه عن جمعية العلماء المسلمين. وقد قال عنه دوفورج Dufourg أحد أكبر المعمرين في دائرة باتنة إنه«عدوي السياسي»[19]، لقد تحولت المنافسة السياسية إلى معنى العداء.

والحق يقال أن الإدارة الاستعمارية كانت ترى فيه أخطر سياسي جزائري عليها وعلى سياستها في الجزائر. وهي مصيبة في هذا الرأي، لأنها كانت تجد لينا، وتؤسس ميلا، من أغلب من اشتغل بالسياسة قبله ومعه[20].

2- استقراره ببسكرة وبداية نشاطه السياسي:

الحكيم سعدان بين مهنة الطب وممارسة السياسة: كان استقراره في بسكرة استقرارا أبديا وفتح عيادته هناك وباشر عمله كطبيب وإنسان. كان مقر العيادة حسب محمد خير الدين قرب "بيرو عرب" (المكتب العربي)، قال عنه أنه كان بارع في مهنة الطب، ماهر في المعالجة: «في استطاعته أن يخفف كثيرا من بلوة أولئك المساكين... فكان ملجأ للضعفاء المساكين ومشتكى البؤساء المظلمين. يداوي الجسم العليل، ويماشي المظلوم ينزع له حقه من مخالب الطغاة انتزاعا»[21]. لقد وجد فيه سكان بسكرة مجتمعا ونخبا الطبيب الإنسان، فكنوا له الود والاحترام لأخلاقه الطيبة، وشهامته وهذا ما جعل محمد العيد آل خليفة يكب فيه تلك الكلمات الصادقة لما إجتمع به فرأى منه: «طبيبا حاذقا، وحكيما صادقا، جمع إلى حذقه في الطب وتبريزه في الحكمة، خلقا سمحا وتساهلا غريبا، وبشاشة نادرة وشهامة لا نظير لها، فمرحبا بك أيها الطبيب الكبير، مرحبا بك أيها الحكيم الشهير»[22].

إن مرحلة استقراره بمدينة بسكرة يمكن اعتبارها مرحلة نضجه السياسي وبداية نشاطه وصدامه مع الإدارة الاستعمارية. لقد كان جزءا كبيرا من الزيبان تحت الحكم العسكري الذي ساد إقليم الجنوب الجزائري وفق قانون 14 أوت 1905، في حين وضع شماله تحت الحكم المدني مثل مدينة بسكرة وأصبح الزيبان تحت حكم عسكري قاس في الجنوب وحكم مدني تسيطر عليه الجالية الأوروبية في شمالها. وقد ساهم في تحالف الإدارة الاستعمارية مع المكتب العربي وبعض رؤساء القبائل وشيوخ الطرق الصوفية والزوايا في عدم الالتفاف إلى أوضاع الأهالي وانعكست بالسوء عليهم. ومن جهة أخرى انتشرت المجاعات والأوبئة والأمراض كالتيفوس ونزلات البرد والملاريا في سنة 1918 أصيب واحد وثمانون (81) شخصا بالتيفوس في بسكرة وفلياش

فيما توفي ثمانية عشرة (18) آخرون وظهرت المجاعات بين 1920 و 1937م[23].

إلى جانب الانتهاكات التي شهدها الدكتور سعدان من السلطات والإدارة الفرنسية و شدة البؤس والفقر الذي كان يعيش فيه المجتمع، كانت مدينة بسكرة تشهد أيضا قمة النشاط الإصلاحي رغم وقوعها تحت الحكم العسكري سواء من ناحية التعليم والإرشاد داخل الجمعيات الدينية و كذلك النشاط الصحفي. بدأت الحركة الإصلاحية ببسكرة مع عودة الشيخ الطيب العقبي من الحجاز سنة 1920 واستقراره ببسكرة واتخاذه من منابر مساجدها ومن اللقاءات المتعددة مع الناس مجالين لنشر دعوته الرامية إلى تغيير الأوضاع والعودة إلى منابع الإسلام وهاجم الطرقية والشعوذة والخرافات، كما أسس جريدة الإصلاح في 8 سبتمبر 1927 التي كانت تصدر ببسكرة متخذة شعار "العمل على تحطيم الخرافات وهدم الأوهام، أول واجب لتنوير الأفكار وتهذيب الرأي العام"[24].

كان النشاط الصحفي بمدينة بسكرة يزخر بتعدد الصحف وتنوعها وأيضا التنافس الشديد بين أصحابها. ففي الوقت الذي كادت الصحافة أن تكون معدومة في بعض مناطق القطر الجزائري، ظهرت في بسكرة صحف ذات وزن منها الحق لصاحبها علي موسى العقبي التي صدرت في 23-04-1926 وصدى الصحراء لأحمد بن العابد العقبي لقد صدرت في 23-11-1925م.

كما شهدت هذه الفترة على الساحة السياسية في الجزائر ميلاد اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين في 11 سبتمر 1927 تحت رئاسة الدكتور بن تامي ثم تكونت اتحادية قسنطينة حوالي سنة 1930 برئاسة شريف سيسبان وكانت اتحادية قسنطينة أكثر نشاطا من اتحاديتي الجزائر و وهران بل أنها ظلت هي القائدة للمنتخبين في العمالات الثلاثة، كما أن زعماءها قد برزوا بوضوح على مصرح السياسة الجزائرية خلال الثلاثينات[25]، وقد انظم الدكتور سعدان إلى اتحادية المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة ومارس نشاطه تحت ظلها.

كما كانت هذه الفترة أيضا-الثلاثينات- ميلاد جمعية العلماء المسلمون في 5 ماي 1931م التي أسست لها فروع ونوادي ثقافية ومدارس تعليمية التابعة لها في مختلف أنحاء الوطن.

نشاطه السياسي 1930- 1945م: إن استقراره بمدينة بسكرة مكنه من ممارسة مهنته كطبيب وأيضا خوض غمار السياسة حيث انظم إلى فيدرالية المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة وأصبح أحد رجالها الثلاثة، إلى جانب الدكتور صالح بن جلول والصيدلي فرحات عباس. وأصبح يمثل الكتلة بكل من باتنة وبسكرة والجنوب.

ومهما كان ميول هذه النخبة واتجاهاتها السياسية، فقد جعلت من المساواة مع الفرنسيين أساسا لبرامجها، ومن ثم فقد تشبثت بمطلب التمثيل النيابي وقد قام أعضاء اتحادية المنتخبين بدور سياسي واسع النطاق خلال الثلاثينات والأربعينات نظرا لتكوينهم الثقافي ولغتهم الفرنسية ومشاركتهم في المجالس المحلية وبفضل الوظائف الاجتماعية والإدارية التي كانوا يشتغلون بها لدى الحكومة الفرنسية[26].

كما عرفت فيدرالية المنتخبين المسلمين بعمالة قسنطينة خلال هذه الفترة تطورا في مواقفها، وذلك بعد عزل المحامي الشريف سيسبان وإحلال محله الدكتور صالح بن جلول سنة 1931م الذي استطاع مع نخبة من المثقفين والنواب الأحرار الذين غالبيتهم من الجامعيين والحقوقيين أن يكتسح بهم الساحة السياسية [27]. وكان الدكتور سعدان من بين هؤلاء حينما خاض غمار الانتخابات العمالية كممثل لفيدرالية المنتخبين.

لقد تعددت مجالات نشاطه السياسي، داخل النوادي والجمعيات الثقافية والخيرية، والحركة الكشفية وداخل المجالس البلدية والعمالية وفي آخر المطاف داخل البرلمان الفرنسي ومجلس الشيوخ. كما كانت له العديد من المواقف السياسية، سوف نذكرها من خلال نشاطه داخل الجمعيات ومقالاته في أعمدة الصحف وخطاباته ومواقفه.

ـ نشاطه داخل الجمعيات والنوادي: لقد كان للدكتور سعدان مكانة عالية في أوساط المجتمع البسكري خاصة الطبقة الفقيرة. فكان يتجول بدراجته ومعه

حقيبته الطبية التي تحتوي على معدات المعالجة وبعض الأدوية. ويقصد البيوت الفقيرة لتقديم يد المساعدة، فأشتهر بين الناس بمواقفه الإنسانية وتبنيه لمشاكل الفقراء: « عرفه الناس طبيب الأجسام يعالج المريض ويخفف من نكبة المنكوب، ويزيل علة المتألم، فعرفوا فيه العطف والشفقة، ولمسوا منه القلب الرحيم، الذي يتألم لألمهم، ويرتاح لراحتهم، فأحبوه في حياته وبكوه بعد وفاته»[28].

أنشأ جمعية إعانة الفقراء والمساكين وتعليم البنين والبنات سنة 1936 وكان يسيرها بمعية الشيخ محمد خير الدين، وواضح أن هدفها كان تربوي وعلمي. كما ساهم العلماء في تأسيس نادي الشباب يوم 5 فيفري 1935، وكان مقرا لفيدرالية المنتخبين الجزائريين، كان يدير هذا النادي السيد زكري علي عضو في فيدرالية المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة ببسكرة. كما أنشأ جمعية أخرى في أوت 1938 وهي « جمعية تضامن سكان إقليم الجنوب ». ولقد كان يترأسها الطاهر بوزيدي، وكان يمثل سكان مدينة بسكرة، عمار موسى، وسكان سيدي عقبة حوحو حسين، وسكان ليشانة كحلة العربي[29].

ظهور هذه الجمعيات داخل التراب الجنوبي أقلقت الإدارة العسكرية، فقامت بعملية مداهمة وتفتيش بمنزل الطاهر بوزيدي وبداش محمد الذي يقطن بالعامري. ولقد أسفرت العملية الكشف عن نشاط جمعية إغاثة البوازيد وعن الاجتماعات السرية التي كانت تعقد ليلا داخل البساتين وبتواطؤ كل من الدكتور سعدان والعلماء، وذلك حسب تقرير إداري لبلدية بسكرة المختلطة في 12 أوت 1938[30].

ولم يقتصر نشاطه بداخل القطر الجزائري بل شمل أيضا خارجه، حيث أنشأ الدكتور سعدان بمعية الشيخ محمد خير الدين في نوفمبر 1938 بباريس « جمعية من أجل الدفاع عن حقوق سكان إقليم الجنوب »، التي عوضت لجنة شباح المكي من أجل الحقوق المشتركة داخل إقليم الجنوب[31]. كانت مسألة الحكم العسكري في إقليم الجنوب تثير كثيرا من الجدل في وسط الطبقة السياسية وبخاصة الدكتور سعدان، وسوف نتطرق إلى ذلك لاحقا.

كما أسس الدكتور سعدان الجمعية الرياضية " نادي الهلال البسكري" (CCB) الذي كان يرتدي الزى الأخضر والأسود[32]، ظهر هذا النادي كردة فعل على النادي الأوروبي الذي يحمل اسم النجمة الرياضية، وقد حقق الهلال عدة انتصارات وحاز شهرة كبيرة[33].

لقد كان للدكتور سعدان موافق صريحة وجريئة حول مسألة الدين الإسلامي واللغة العربية فهو مؤمن بعظمة المجد الإسلامي والعربي وفخور بانتسابه للإسلام والعروبة ومؤيدا لكل من يعمل لخيرها. ولذلك وقف موقف المناصر لجمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسها، ويقف إلى جانبها، لأنه يقدر عملها في إحياء اللغة العربية الإسلامية حق قدره، ويعرف للمثقفين بها قيمتهم، ويبذل من ماله وعمله ونفوذه كل ما يستطيع في سبيل هذه الثقافة حيث يقول في هذا الصدد في خطاب له: « كل أنواع الثقافة عزيزة علينا ولكني أخشى أن يؤدي تعدد المدارس الفرنسية وتوسيع نطاقها إلى قتل شخصية هذا الشعب، لو لم تسانده ثقافة عربية بجانبه»[34].

في ماي 1934، قاد الدكتور سعدان حركة احتجاجية قوية ضد المشاريع الفرنسية التي استهدفت التعليم العربي وحرية الديانة وحرية الصحافة الإسلامية. حيث تجمع ستة آلاف شخص بمدينة بسكرة تحت رئاسته، حسب التلغراف الذي وجه إلى الحكومة العامة جاء فيه: « احتج السكان المسلمون بمدينة بسكرة 6000 آلاف محتج يمثلون كل الطبقات، في هدوء، معبرين عن خشيتهم من الاقتراحات التي وضعتها اللجنة الخاصة بالأهالي المتعلقة بالديانة الإسلامية، والتعليم الحر واللغة العربية وحرية الصحافة. وشارك في هذا الاحتجاج الموظفين الكبار ونواب الأهالي»[35]. كان الدكتور سعدان يردد دائما وحسب معاصريه: «لا يمكن أي تساوم أو تنازل في مسألة اللغة العربية »[36].

كما كان للدكتور سعدان الفضل في فتح فرع للكشافة وتوسيع نطاق نشاطها، حيث كان يشرف عليها مع جمعية العلماء المسلمين[37]. لقد تكون فوج الرجاء للكشافة الإسلامية ببسكرة مباشرة بعد تأسيس فوج الرجاء لقسنطينة، واعتمد رسميا في 2 جانفي 1941 ولقد شجع الدكتور سعدان السيد دهينة محمد بن

مبروك وأمده بالمال وأصبح الدكتور سعدان الرئيس الشرفي لهذا الفوج من 1941 إلى 1948[38].

لقد قام الدكتور سعدان بصفته مستشارا عاما للمسلمين بحملة كبيرة للترويج لمدرسة الكشافة الإسلامية الجزائرية حيث أقنع العائلات البسكرية بإرسال أولادهم إلى هذه المدرسة، وطمأنهم بأن أولادهم في مأمن عند المدربين حيث سيلقنوهم مناهج تربوية جديدة، بدلا من أن يرتادوا الشوارع والأماكن التي تؤذي تربيهم العربية الإسلامية[39]. وكان الدكتور سعدان إذا جاءه طفل مريض يعاني من ضعف شديد أو فقر الدم، ينصح الأب بقوله:« إذا أردت أن يشفى ابنك أرسله إلي الكشافة يحمل (بردعة) ويصعد إلى الجبال ويستنشق الهواء النقي»[40].

لقد عملت الكشافة الإسلامية على توعية الشعب عن طريق عدة وسائل منها الأناشيد والروايات المسرحية والتمثيليات، ومن بين هذه الروايات التي ألفها شباب الكشافة ومُثلت أمام سكان بسكرة تدور حول شخصية، طبيب يهودي الأصل يدعى " قج " – كتبت حوله العديد من الروايات- حيث كان يعطي حقنا من الماء المقطر للمرضى، حتى يرجعون إليه مرة ثانية، ويستمر المرض ولا أثر للشفاء، فكان الناس يقولون للمرضى الذين يقصدونه اذهبوا إلى الدكتور سعدان فإنكم إذا بقيتم مع هذا اليهودي ستبقون دائما مرضى[41].

أما عن نشاطه في المجال الإعلامي، فقد كان شديد الشغف بالصحافة قراءة وكتابة، وقد قيل أنه كان يطالع صحيفة البرافدا السوفيتية[42]. كما كتب على أعمدة الصحافة المحلية والوطنية، وجرائد فيدرالية المنتخبين. فقد كان من أبرز الكتاب على صفحات جريدة " ضربة الخيزران " Le coup du Bambou الناطقة باللغتين الفرنسية والعربية، صدرت ببسكرة ما بين 1933-1935م[43]. اشتهرت مقالاته بالجرأة والصراحة وهجومه على الاستعمار وأذنابه ويبدو أن شغفه بالكتابة بدأ مبكرا، فكتب مقال صحفي في 27 أكتوبر سنة 1929 بجريدة صوت الأهالي عشية الاحتفال بمرور مئة سنة على الوجود الفرنسي في الجزائر، الذي عدد فيه المشاكل التى يتخبط فيها الأهالي المسلمين(الجزائريين)، ويعبر عن عجز الهيئة السياسية الفاعلة في تلك الفترة

عن إيجادها للحلول، جاء فيه: « ماذا حققنا لشعبنا؟ المشاكل الاجتماعية، والعدالة والمساعدات الصحية والنهوض بالاقتصاد لصالح الجزائر والجماعة المسلمة، غير محققة. هل حقيقته أننا عاجزين عن الحفاظ على ثقافتنا الأصلية. يجب أن نخرج من عجزنا والابتعاد عن الأفكار السلبية وإعطاء علامات هادفة لوجودنا. لأن وضعنا الاجتماعي ومثقفينا الإسلاميين، تفرض علينا واجب أن نكون على رأس الكتلة الشعبية ونقودها إلى النور ومعرفة ضروريات الحياة الحضارية وحب العمل الذي يحسن الأوضاع الاقتصادية التي هي قاعدة لكل ثروة. يجب أن نحارب جميع السياسيين الذين يغيرون ذهنية غالبية المسلمين ويعلمونهم الخوف والفساد»[44].

من خلال نضال الدكتور سعدان نجده قد كافح ضد العبودية والجهل والفقر والمرض[45]، ونجد أن الكثير من يقيم قدوم سعدان إلى بسكرة بأنه ملأ الفراغ الذي تركه العقبي بعد رحيله إلى العاصمة بمواقفه الوطنية والإنسانية[46]، كما أنه بعث النشاط السياسي قدما، واشتد الوعي وقويت بذور النهضة الفكرية[47].

ـ نشاطه داخل المجلس العمالي: لقد تعايشت بمدينة بسكرة جميع التيارات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية، فشكلت حضنا يجمع بين مختلف الإيديولوجيات، نادرا ما يوجد آنذاك عبر القطر الجزائري من فضاء يربط بين عناصر مختلفة من الحركة الوطنية. فقد حدث تقارب شديد بين الدكتور سعدان ورجال جمعية العلماء المسلمين داخل مدينة بسكرة، فعمل بجانب الطيب العقبي، والأمين العمودي، ومحمد عابد الجلالي السماتي والشيخ خير الدين، الذي يعتبر من أكبر المقربين إليه، فقد كان صديقا للعلماء بفضل استقلاليته وتفتحه[48]. كما ساندت جمعية العلماء المسلمين جماعة النواب في مختلف مشاركتهم الانتخابية ضد ممثلي الإدارة الاستعمارية.

أ ـ ترشحه لانتخابات المجلس العمالي لدائرة باتنة أكتوبر 1934: كان عمل الدكتور سعدان في الميدان السياسي مكملا لعمل المصلحين الذين تحملوا عبء العمل الديني والتربوي والاجتماعي، وخاض غمار المعركة

السياسية لأنه لقي مساندة قوية من جانب رجال جمعية العلماء المسلمين ومن جانب أهالي مدينة بسكرة الذين وضعوا ثقتهم فيه نتيجة لمواقفه الإنسانية معهم.

لقد عرفت بسكرة تجربة انتخابية سبقت هذا التاريخ، وذلك في إطار الانتخابات البلدية في منطقة الأوراس سنة 1922 والسنوات التي أعقبتها التي تعتبر سنوات التدريب على الممارسة السياسية. وشهدت سنة 1929 احتدام المنافسة السياسية بين الأعيان المحليين المؤيدين للإدارة وقائمة الدكتور بن جلول. فتمكن ابن جلول من انتزاع الفوز في كل من لامبيز وخنشلة بينما لم يوفق الدكتور سعدان ممثل المنتخبين المسلمين من هزم الحاج بن قانة الذي أعيد له من جديد وكان يتمتع بها سابقا وبقية أعيان المدينة[49]. فحسب ما أورده الدكتور سعدان، فقد وقع ضغط على الناخبين من طرف كل من بن قانة ورئيس بلدية بسكرة كازناف، الذي تم تعيينه للمكتب الانتخابي مما دفع بالدكتور إلى دعوة أنصاره للامتناع عن التصويت احتجاجا على ذلك[50].

وقد تكررت نفس العملية في انتخابات المجلس العام سنة 1931 حيث أيد رؤساء الزوايا مرشح الإدارة علي بن قانة. وكذلك محمد الصالح بن لوام الذي هو ابن عائلة مرابطية وشارك في الانتخابات العمالية وانتخابات المجلس العام. فقد اشتهرت بسكرة بتزوير الانتخابات نظرا لتواطؤ رئيس البلدية كازناف مع بوعزيز بن قانة ضد مرشح الأهالي الدكتور سعدان[51] في عدة مناسبات سنة 1934- 1935- 1936- 1937 وسوف نتعرض إلى ذلك بالتفصيل.

ترشح الدكتور سعدان باسم كتلة المنتخبين المسلمين كنائب للعمالة في انتخابات المجالس العمالية. وكان خصمه هذه المرة هو السيد الحاج الحفناوي دبابش البسكري. ويروي الشيخ محمد خير الدين في مذكراته كيف كان من المناصرين له بل خطيبا لحملته الانتخابية كما ألقيت على عاتقه مسؤولية القيادة والتنظيم.

لقد كان التنافس شديدا خلال هذه الحملة الانتخابية بين الدكتور سعدان والشيخ الحفناوي دبابش وأنصاره ومؤيديه وهم أعوان الاستعمار، كان كلا الطرفيين يعمل من أجل إنجاح مرشحه في هذه الانتخابات والحيلولة دون تكرار ظاهرة التزوير.

في وسط غمار هذه الحملة المشحونة بالاضطرابات حل ببسكرة وفد من فدرالية النواب من المسلمين لعمالة قسنطينة برئاسة الدكتور بن جلول لمساندة الدكتور سعدان والوقوف إلي جانبه في الحملة الانتخابية. فخرج الشعب لاستقبالهم على مشارف المدينة بحسب رواية الشيخ خير الدين: « وأثناء رجوعنا إلى المدينة رفقة وفد النواب اعترضت طريقنا عصابة من الشرطة المسلحة، وصادمونا فتحولت المعركة الانتخابية إلى مجابهة مسلحة بين الفريقين سقط فيها من الطرفين عدد غير قليل من الجرحى وأصبت أنا وأصيب الدكتور سعدان في هذه المواجهة ولكن إصابتنا لم تكن خطيرة »[52].

كما ساندت الصحافة المحلية الدكتور سعدان في هذه الحملة، كجريدة ضربة الخيزران التي كان اتجاهها العام سياسيا محضا بحيث كانت تدافع عن جمعية النواب ورئيسها ابن جلول، التي ظهرت في فترة التطاحن بين أنصار الدكتور سعدان وأنصار الشيخ دبابش وكرد فعل على عودة جريدة صدى الصحراء للشيخ بن العابد العقبي في 1934 المساندة للشيخ دبابش[53].

وقد نشرت هذه الجريدة رسما كاريكاتوريا ظهر فيه مقبرة وبداخلها الشيخ دبابش والموتى من حوله يمدون أيديهم للدكتور سعدان مساندين له في عز الحملة الانتخابية كما نشرت أيضا رسما كاريكاتوريا آخر ضد أحمد الأحمر الوكيل الطرقي العميل للإدارة الفرنسية، فرسمت نخلة تحتها اسم الشريف سعدان وفوقها قوله تعالى« تؤتي أكلها كل حين »، وعلى اليسار برميل خمر تحته اسم أحمد الحمار وفوقه قوله تعالى « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما». وهذا يعتبر تشهيرا بأعداء الدكتور سعدان[54].

لقد تبنت جريدة ضربة الخيزران الحملة الانتخابية منذ بدايتها مساندة للدكتور سعدان وترشيحه للنيابة العمالية، وقد هللت الجريدة بهذا الخبر تحت عنوان «بشرى»: «...نحن نهنيء قسم باتنة بنائبهم الجديد الدكتور سعدان وندعو الله أن يجعله عونا للمسلمين في الشدائد ويجري الخير على يده»[55].

وقد نشرت الجريدة نداء باسم للدكتور سعدان إلى قسم باتنة وبسكرة بعد قبول ترشحه للنيابة العمالية مما جاء فيه:«...لم يكن الغرض من ترشحي هو قضاء

مصالح شخصية وإنما أحزنني وحز في نفسي حال المسلمين وما هم عليه من الفقر وزيادة المغارم والجهل لعل الله يجعل الخير على يدي لهم وأني أعاهد الله ثم نعاهدكم على خدمة الأمة..»، ثم حدد المسائل التي سوف يأخذها بعين الاعتبار ويجتهد في النضال من أجلها: المدافعة عن حرية الدين، التعليم العربي والفرنسي، مسألة المياه والسدود خصوصا في بسكرة التي أشرفت على الهلاك، المطالبة بتخفيف الضرائب، الدفاع عن المظلومين من الفلاحين والعمال، وفي الأخير أكد أنه سوف يسعى من اجل ذلك بكل قوته، بقلمه وبلسانه في سبيل تحقيق ذلك[56].

كما نشرت الجريدة ردا على الذي هاجم(سب) الدكتور سعدان والعلماء جاء فيه:«...الدكتور سعدان الذي خدم الأمة ودافع عليها وعاون رجالها العاملين وأعان الضعفاء بماله وعالج المرضى لوجه الله وقد عرف له أهل بسكرة الكرام فضله فأحبوه وأيدوه في الانتخاب السابق وهم اليوم يؤيدونه ويلتفون حوله »[57]. كما نشرت الجريدة شرحا لبرنامج كتلة النواب السياسي والاجتماعي والاقتصادي: « انتخاب الدكتور سعدان، هو انتخاب بن جلول. يعني انتخاب حرية الديانة، وحرية الصحافة، وحرية تعليم اللغة العربية. هو انتخاب من أجل الحصول على مطالبكم الشرعية. هو انتخاب من أجل احترام تراثكم المادي والمعنوي»[58]. وجاء في مقال آخر يحمل عنوان " رد على جريدة الصحراء " التي قال فيها الحفناوي دبابش أن زواج الدكتور سعدان بفرنسية جريمة: «يعيبون على الدكتور سعدان تزوجه بامرأة كتابية والعظماء والعلماء يتزوجون الكتابيات والقرآن أباح لهم ذلك وأخيرا هل نسو صاحبهم سيسبان الذي يعبدونه فهو متزوج باروبية وله ابنة تسمى ماري...» [59].

وتحسبا للتقليد الذي دأبت عليه الإدارة الاستعمارية وهو تزوير الانتخابات، فقد اتخذ الدكتور سعدان وأعوانه ومدير حملته محمد خير الدين الاحتياطات لإنجاح هذه العملية وإحباط محاولات أعوان الاستعمار. فقد قام محمد خير الدين بتكوين فرق من المناضلين مكلفين بالحراسة والإشراف على نواحي المدينة يتولون إحضار سكانها وتسجيل أسمائهم وعناوينهم ويكونوا مسؤولين

عن إحضارهم حيث يدلون بأصواتهم في صناديق الانتخاب كما يكلفون أيضا بحراسة مكاتب الاقتراع وحث المواطنين على الإدلاء بأصواتهم[60].

ولولا الاحتياطات التي اتخذت لكانت هزيمة الدكتور سعدان أكيدة، لكن الحيطة الشديدة والحنكة والشجاعة التي تميز بها منظموا الحملة، فكان الفوز للدكتور سعدان بالأغلبية الساحقة حتى قيل – وذلك ما جاء على لسان منافسيه – أنه لم يبق ببسكرة ودروبها سوى الأشجار والكلاب لم تنادي بحياة الدكتور سعدان " Vive Saadan "[61].

لقد حققت انتخابات المستشارين العامين في القطاع القسنطيني نجاحا كبيرا في أكتوبر 1934 بالنسبة لمرشحي فيدرالية المنتخبين فتحصل الدكتور سعدان بهذه الانتخابات على 2145 صوتا من مجموع 2776 صوتا، والدكتور لخذاري بقالمة على 1731 صوت من مجموع 2138، وبن خلاف على 1772 صوتا من مجموع 2272، وفرحات عباس على 3301 على مجموع 4120[62].

عقب هذه الانتخابات شهدت مدينة بسكرة أحداث عنف شديدة، قامت الإدارة الاستعمارية بنشر للقوات والفرق العسكرية من الصبايحية وفرقة السنغال، وعمليات القبض العشوائي بشوارع المدينة من قبل الضباط الفرنسيين، ففي 9 أكتوبر حدث شجار داخل مدينة بسكرة، وحاول الأهالي المسلحين بالعصي، منع الضباط من إلقاء القبض على مجندين اثنين من الأهالي[63].

لقد كان رد فعل الإدارة الفرنسية ببسكرة على هذا الفوز عنيفا وموجعا حيث أعلن شيخ بلدية بسكرة حربا عشواء على أنصار الدكتور سعدان المقيمين في القطاع المدني، فأرجع قانونا قديما كان نائما في خزانة البلدية منذ سنين يقضي بعدم إلزام مواليد القطاع الخاضع للحكم العسكري بأداء الخدمة العسكرية الإجبارية ماداموا في هذا القطاع فإذا انتقلوا إلى قطاع خاضع للحكم المدني وأقاموا به سنة أو أكثر أصبحوا ملزمين بأداء الخدمة العسكرية ما لم تتجاوز أعمارهم ستة وثلاثين عاما. وقد مس هذا الإجراء الشيخ محمد خير الدين ورغم محاولاته إلا انه تعرض للنفي إلى مجانة سنة 1934[64].

لقد كان موقف الإدارة الفرنسية الرفض لهذه النتائج حيث شككت في نزاهتها وسخروا منها واتهموا الناخبين بالديمغاجية والمنتخبين بالسذاجة[65].

ب- انتخابات 5 ماي 1935 لمستشاري البلديات الخاصة بالأهالي:

تميزت هذه الانتخابات عن سابقتها بشدة التنافس والعنف الشديد في أغلب البلديات عبر القطر الجزائري. كانت الحملة هذه المرة أكثر شدة وأوسع رواجا، وأكدت على المطالبة بتغيير الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الجزائر كل حسب منهجه وبخاصة لدى نشر الدعاية الانتخابية التي يتمتع عادة فيها الجزائريون بشيء من حرية الكلام، مما أدى إلي وقوع حوادث عنف وسقوط قتلى وجرحى برصاص القوات الاستعمارية بمناسبة الانتخابات البلدية سنة 1935.

أراد الدكتور سعدان خلال هذه الانتخابات أن يوسع في قائمة الناخبين بمدينة بسكرة، ففي سنة 1935 استطاع بفضل حنكته السياسية وقدراته العالية على الحوار، أن يقنع مجموعة من الشخصيات اليهودية والمسيحية بالانضمام وبصفة إرادية إلى الصنف الثاني من المنتخبين الذي كان مخصصا بحكم قانون فيفري 1919 للجزائريين الغير حاملين للجنسية الفرنسية- هذا القانون يقصي حق الانتخاب لأغلبية العرب[66].

كانت هذه القائمة تجمع الفرنسيين والمسلمين، حيث لا يوجد بمدينة بسكرة سوى 1300 ناخب أهلي. تتألف من وجهاء وأعيان مدينة بسكرة وقدماء المحاربين، نذكر منهم: الدكتور شاطوني، لوام محمد، شارل كودرون، جودي السعيد، بيجلان تيودور، صفر العربي، ريني قويرارد، هذا الأخير محامي والباقيين هم أطباء وتجار وأغلبهم من الضباط الاحتياطيين[67].

ترشح ضد هذه القائمة في هذه المرة الباشا آغا بوعزيز بن قانة . وفي عشية الاقتراع بعث المرشحون قائمة الدكتور سعدان برقية إلى محافظ قسنطينة، من أجل إعلامه بالضغوطات والتهديدات التي يتعرضون لها من طرف الباشا آغا. من بينها أنه أمر عمالا من الأهالي في السكة الحديدية الانتخاب بورقة تصويت مفتوحة لصالح قائمته، وهددهم بالطرد إن لم يذعنوا لأوامره[68].

تميزت الانتخابات هذه المرة أيضا بالتزوير المضاعف والعنف والإجبار. وقد احتج الدكتور سعدان حول الطريقة التي جرت بها الانتخابات، التي وصفها بالغير قانونية وعدم التنظيم، فيما يتعلق بتخصيص مكتب خاص لمناصري الباشا آغا خال من الحراسة بأمر من رئيس البلدية كازناف. وداخل رواق البلدية كان الناخبون يتعرضون للتفتيش من طرف رجال الشرطة وأنصار بن قانة يأخذون منهم أوراق التصويت الخاصة بقائمة الدكتور سعدان التي يحملونها. أما داخل قاعة الاقتراع فقد كان كل من رجال الشرطة وأفراد من عائلة بن قانة وموظفي البلدية يقومون بإجبار الناخبين على الانتخاب بورقة انتخاب مفتوحة خارج الخلوة. وقام الباش آغا بتسليم الناخبين ظرفا يحوي بداخلة قائمة بن قانة. فخلال عملية الانتخاب، نجد أن شيخا هرما كان يحمل معه قائمة الدكتور سعدان، متجها إلى الخلوة، فقام الباشا آغا بالبصق على وجهه واخذ الورقة منه على مرأى ومسمع من رئيس البلدية، فثار الدكتور شاطوني غاضا وقام بضرب الباشا آغا على صدره. ووسط هذه الظروف امتنع الناخبون عن الانتخاب، لكن رجال الشرطة أجبروهم على ذلك، والذين امتنعوا تعرضوا للحبس. وفي الأخير تمت عملية الفرز بحضور كل من رئيس البلدية والباشا آغا فقط وأعلنت عن فوز الباشا آغا ب 804 أصوات من 813[69].

لقد ملئت هذه الفضيحة الجرائد وكتبت العرائض و سجلت الاحتجاجات، ورغم رفع هذه القضية إلى المجلس الأعلى للدولة لكن لم ينظر فيها. في 22 ماي بعث الدكتور سعدان و مرشحيه برسالة إلى وزير الداخلية مارسال ريني، مطالبين بإجراء تحقيق وفرض عقوبات، لكن لم يتخذ أي إجراء ولا متابعة قضائية، بل قامت ولاية قسنطينة بالمصادقة على شرعية الإنتخابات البلدية لمستشاري الأهالي ببسكرة، مع التغطية على تجاوزات الباشا آغا بن قانة[70].

لقد تابعت جريدة الدفاع[71] La Défense بالتدقيق هذه الأحداث ونشرتها في أعدادها لسنة 1935 كما نشرت عريضة الدكتور سعدان في العدد 79 بتاريخ 11 أكتوبر 1935، كانت هذه العريضة تتحدث عن تزوير الانتخابات والحقرة وتسلط البوليس. كما نشرت أيضا عريضة أخرى لفوج من أهالي بسكرة[72]. كما كتب محمد الأمين العمودي[73] عن هذا الحدث مقالا

لإبراز مدى الحيف الذي لحق بصديقه الدكتور سعدان في هذه الانتخابات فذكر: « أثناء الانتخابات البلدية ببسكرة، مجموعتان تعارضتا وتنافستا أنصار الباشا آغا ابن قانة، وهو أحد الأغوال الإدارة وقد تسبب أنصاره وأشياعه في القيام بأحداث خطيرة أثناء عملية الانتخابات، فناخبون لم يستعملوا الخلوة (المكان الخاص بالناخب) هذا أدى إلي المساس بحرية الانتخابات، والمجموعة الثانية هي قائمة الدكتور سعدان وهو من رموز الحركة الوطنية العاملة في الساحة ويجد دعما من رجال الإصلاح وله شعبية واسعة. ورغم الاحتجاجات الكبيرة ضد هذه التجاوزات الخطيرة لكن الإدارة التعسفية سجلت انتصار أنصار الباشا آغا بن قانة»[74].

أما عن موقف أهالي بسكرة، فتمثل في تقديم عريضة لوالي عمالة قسنطينة. في 28 ماي ذهب وفد من 200 شخص إلى قسنطينة يتكون من أعيان مدينة بسكرة ومن قدماء المحاربين. واستقبل منهم 8 فقط ممثل عن الوالي، وقدموا له شكواهم في عريضة نذكر بعض ما جاء فيها:« نحن ضحايا التهديدات، الحقرة، والشتم، والسباب، والتنكيد والابتزاز من طرف رجال شرطة بلدية بسكرة، وعندما حاولنا التحاور وضعنا في السجن بدون اعتبار لمكانتنا الحربية والاجتماعية، فنحن معطوبي الحرب فقد ضحينا بدمائنا من أجل فرنسا... في زمن قريب، البعض من أصدقائنا زج بهم في السجن لمجرد قولهم يحيا بن جلول يحيا سعدان. نحن نحتج على عدم احترام حريتنا الفردية، ولقد بعثنا باحتجاجنا هذا إلى كل من وزير الداخلية والوالي العام وحضرتك والعدالة لكن لم نلقى أية استجابة لمطالبنا». كما تحدثوا أيضا عن المساس بالدين وعن الوضعية المزرية التي يعيشها الأهالي والأوضاع الاقتصادية وكثرة الضرائب « لم يطبق ببسكرة القانون الذي يخفض الضرائب على سكان إقليم الجنوب. لقد احتقرنا وبهدلنا وطوردنا، لأننا من جماعة الدكتور سعدان ولأننا رفضنا الإذعان لأوامر ورغبات الزعماء المحليين خاصة السيد دبابش وشيخ العرب ». وأنهوا عريضتهم هذه بالمطالبة بإجراء تحقيق فوري، وأكدوا أنهم سوف يقدمون الأدلة على كل ما جاء في هذه العريضة[75].

ويرى فرحات عباس أن الانتصارات التي حققتها جماعة النواب في انتخابات سنة 1934 ونظرا لقوتها ونشاطها، ارتعشت فرائص المستعمرين واستحوذ عليهم الفزع وراحوا يحيكون المناورات ويدبرون الدسائس، وأوعزوا إلي السلطات العمومية أن تتفادى الأمر وتتدارك الخطر، فخضعت السلطات لهم، وأعدت كل ما لديها من القوة لكبت الحركة وزجر المنتخبين، واستفزازهم ومعاقبتهم وهذا ما حدث:« في سنة 1935 أثناء الحملة الانتخابية لتجديد البلديات وقعت حوادث في قسنطينة وبجاية وسطيف، وفي بسكرة بالخصوص أن الشرطة التي كان يشرف عليها شيخ المدينة من النزعة الفاشستية، أطلقت النار على الجماهير أودت بحياة ثلاثة قدماء المحاربين وجرحت عديدا من السكان. والحكومة الفرنسية ما فتئت تمتثل لأوامر المعمرين وتحمي المجرمين منهم وتبرئ ساحتهم وتعذب المسلمين الأبرياء وتعتقلهم»[76].

- **دوره في المؤتمر الإسلامي 1936م موقفه من حادثة اغتيال المفتي كحول:** مثلت سنوات 1934- 1939 قمة النشاط السياسي للدكتور سعدان وذلك لعاملين، الأول متمثل في الانتخابات وما أعقبها من تزوير وما لحقها من إجراءات تعسفية من جانب الإدارة الفرنسية، والعامل الثاني المتمثل في انعقاد المؤتمر الإسلامي الذي جمع مختلف تيارات الحركة الوطنية، ووجود الجبهة الشعبية على رأس الحكومة الفرنسية والإصلاحات التي وعدت بها.

لقد كان الدكتور سعدان من بين الحاضرين البارزين والفاعلين في المؤتمر الإسلامي وحضر جميع جلساته التحضيرية وكان يمثل النواب عن قسنطينة مع رفقة كل من عبد الرحمان خلاف والصيدلي فرحات عباس وهم نواب عماليون. كما أبدا تدخلا إلى جانب كلمة المتدخلين مثل الدكتور صالح بن جلول، فخطب خطبة طويلة وصف فيها حالة الأمة، وبين الأسباب الداعية لعقد المؤتمر والمقاصد...، ثم تكلم الدكتور سعدان بصفته نائب بسكرة العمالي عن سكان القسم العسكري الجنوبي، فأقترح على المؤتمر المطالبة بحذف المحاكم العسكرية الشاذة، وتصيير الأقسام الجنوبية مدنية. فوافق المؤتمر بالإجماع على هذا الاقتراح[77].

كان الدكتور سعدان من بين أعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر وكان أيضا من بين الأعضاء المستشارين: الشيخ بن باديس، الدكتور سعدان، الشيخ محمد البشير الابراهيمي، الدكتور بن جلول، والدكتور الأخضري...وغيرهم[78]. في اختتام المؤتمر تشكل وفد ذهب إلى باريس للاجتماع بحكومة الجبهة الشعبية لمواجهتها بمطالب الشعب الجزائري، وكان سعدان من أبرز أعضاء الوفد.

كان المؤتمر الإسلامي بمثابة الحدث الذي حرك الحياة السياسية. وبعد أن تم إنشاء اللجنة المحلية للمؤتمر في باتنة، صارت الاجتماعات والتظاهرات السياسية فيها دورية لا تنقطع، ولعل أهم حدث تظاهرة 8 أوت بمناسبة رجوع الدكتور سعدان إلى باتنة بعد عودته ليقدم تقريره حول المساعي والنتائج التي تحصل عليها في باريس. كان الاستقبال الذي خص به منذ نزوله في المحطة حيث قدمت له باقتان من الورود من حوالي ستين شخصية محلية مسلمة شاهدا على الأهمية التي كان الناس يولونها لانعقاد مؤتمر المسلمين بالجزائر. بعد لقائه مع مختلف الممثلين، في نادي الإصلاح، وهناك استقبل أيضا رجلا يدعى بلخير محمود(سائق ميكانيكي) أتى إليه ملتمسا باسم العديد من العاطلين عن العمل إذا كان في وسعه أن يقوم بشيء لصالحهم، ثم توجه إلى الاجتماع بالمسرح البلدي حيث أخذ الكلمة أمام حوالي 700 شخص منهم كثير ممن جاء من بسكرة:« ... إن الوفد لقي نجاحا كبيرا خاصة لدى أعضاء الحكومة المحلية وشهد على أن فيدرالية قسنطينة تسعى لتحقيق هدف واحد هو الدفاع عن مصالح الأهالي المسلمين في الجزائر...، ثم دعا الحاضرين لوضع ثقتهم في المنتخبين المنتمين إلى الفيدرالية وكلهم من المثقفين، وبعد أن عدد المطالب التي تقدمت بها لجنة باريس أوضح للحاضرين أن الحكومة ملزمة بان تأخذ معظم تلك المطالب بعين الاعتبار لأن المسلمين أراقوا دماءهم في الحرب العالمية (1914- 1919) وساهموا على قدم وساق مثل الفرنسيين»[79].

كما عقد اجتماعا بمدينة بسكرة يوم السبت 3 أكتوبر على الساعة الرابعة مساءا، وطبعت أوراق الدعوة ووزعت في بسكرة وضواحيها. منع حاكم بسكرة العسكري في ذلك اليوم السيارات من السفر، وتعطلت الحركة التجارية، لكن رغم ذلك توافد الوفود من باتنة وعين التوتة، والقنطرة، وبريكة، وأريس،

وتقرت والزيبان، ووادي سوف، وحضر الخطبة ما ينيف عن عشرة آلاف نسمة، كما حضرت النساء أيضا. قام بشرح مطالب وفد المؤتمر الإسلامي حيث قال: «... إن السلطة يمكنها أن تتسلط على الذوات والحواس ولا يمكنها بحال من الأحوال أن تتحكم وتتسلط على القلوب». ثم قال: «...إخواننا أهالي التراب العسكري وما تقاسونه من الظلم والإرهاق وما يتلقون فيه من التعاسة والشقاوة السرمدية ولا من راحم يرحمهم أو مشفق يشفق عليهم»، وضع الدكتور سعدان خلال هذا الخطاب مسألة التراب العسكري على طاولة التشريح وفحصها فحصا طبيا وبين مواطن الداء والدواء، وقال إن المتسبب في كثير من مصائب الأمة الإسلامية هم المسلمين أنفسهم[80].

بعد عودة الوفد من باريس جاءت حادثة اغتيال المفتي الشيخ كحول واتهام الشيخ الطيب العقبي بقتله، وكان موقف الدكتور سعدان صارما وصريحا تجاه هذه القضية، ووصل به الأمر إلى أن وقف موقفا من الدكتور بن جلول الذي ساير رأي الإدارة الفرنسية في اتهامها لجمعية العلماء المسلمين، مؤكدا بأن المكيدة مدبرة، وحسب الشيخ خير الدين أن الدكتور سعدان قد رافق الشيخ عبد الحميد بن باديس ليشرح المكيدة الاستعمارية ويبين للرأي العام الفرنسي نذالة أولئك الخصوم الذين لا يتورعون حتى عن سفك دم أعظم خادم لركابهم في سبيل الوصول إلى أغراضهم والاحتفاظ بامتيازاتهم وحظوظهم[81].

إن رفض مطالب المؤتمر واغتيال الشيخ كحول، تسبب في مضاعفة نشاط جميع الاتجاهات السياسية، وعقدت الاجتماعات في مناطق مختلفة منها الاجتماع الذي عقد بمدينة باتنة، حضره قرابة 1500 شخص من بينهم عدد معتبر من بسكرة (من 300 إلي 400)، وكان لكل من الدكتور بن جلول وفرحات عباس تدخلا، لكن خطاب الدكتور سعدان كان حادا، فقد كان أعنفهم تنديدا بالتجاوزات الإدارية، وبعد استعراض مختلف الوعود التي تعهدت بها حكومة الجبهة الشعبية أنهى خطابه بقوله، لقد بقيت تلك الأماني عالقة ولم يحض أي منها بالتنفيذ ولئن تمت المصادقة على قوانين في صالح الأهالي فقد عملت الحكومة العامة على دفنها ثم أكد الخطيب على أن الأهالي يعرفون الآن مبلغ الصدق في سياسة الحكومة المركزية وأنه لن يعتمد هو ولا أحد من

أصدقائه بعد اليوم على هذه الحكومة أو على تلك، وأنهى الدكتور سعدان خطابه محرضا المتعاطفين معه على الصبر وعلى عدم الاستسلام لشتى التحرشات واعترف بأنه تعرض شخصيا للضرب ولكن صبره لم ينفذ وأنه مستعد لدخول السجن والموت فيه إذا لزم الأمر[82].

- **موقفه من الحكم العسكري بالجنوب:** من المطالب الأساسية التي كان يدافع عنها الدكتور سعدان والتي كانت تشغل حيزا كبيرا في برنامجه السياسي إلغاء نظام الإدارة العسكري في الجنوب ومنها منطقة الزيبان التي عان المجتمع كثيرا منها. وطرحت المسألة بشكل رسمي في المؤتمر الإسلامي حيث اقترح على المؤتمر المطالبة بحذف المحاكم العسكرية الشاذة وتصيير الأقسام الجنوبية مدنية [83]. وقد عمل على هذه المسألة كثيرا في فضح ممارسات الإدارة الفرنسية في الجنوب، وكان يضرب الأمثال بالقضية التي شغلت الرأي العام البسكري المدعو شباح المكي(أحد أعضاء الحزب الشيوعي ببسكرة)، الذي تعرض للظلم والاعتقال من شيخ العرب بن قانة، ولم تنصفه المحكمة الصلحية الشرعية في سيدي عقبة[84].

- **نشاطه داخل الدائرة العمالية وموقف السلطات الفرنسية منه:** لقد اشتدت المنافسة بينه وبين خصومه سواء داخل مدينة بسكرة أو خارجها، حيث شمل نشاطه منطقة الأوراس أيضا كما رأينا، فكان يتنقل بين بسكرة وباتنة وقسنطينة، حيث عزم على الدفاع عن المسألة الوطنية داخل مجلس العمالة لفيدرالية نواب الشرق الجزائري، متحديا رموز الإدارة الاستعمارية المتمثلة في، بول كوتولي Paul Cuttoli، رئيس بلدية مدينة سكيكدة، واميل مورينو Emile Morinaud رئيس بلدية مدينة قسنطينة، وبول بانتنولي Paul Pantaloni رئيس بلدية عنابة، وخادمهم ليوبولد مورال Léopold Morel مدير جريدة "Dépêche de Constantine"[85].

لقد قام الدكتور سعدان بصفته مستشارا عاما لباتنة وبسكرة بعدة جولات إلى البلديات المختلفة بمنطقة الأوراس للدفاع عن حقوق السكان والاستماع إلى شكواهم والنظر في مطالبهم لتقديمها على مستوى مجلس العمالة، ومحاولة الحد من تعسف الإدارة الفرنسية وتجاوزات الزعماء المحليين. لقد كسب الدكتور

سعدان ثقة الشعب فيه وكانت تبعث له الرسائل لإعلامه بتجاوزات الإدارة الفرنسية داخل هذه المناطق، إضافة إلى دعوته لمشاركتهم في بعض المناسبات والاحتفالات، فقد وجه سكان آريس دعوة للدكتور سعدان في 8 أفريل 1937 لحضور افتتاح نادي الإرشاد، كما وجهت له دعوة أخرى في 16 أوت 1937، لكن الإدارة الفرنسية منعت التظاهرة[86].

عمل الدكتور سعدان على إيصال مشاكل السكان الذين يقطنون ضمن دائرته إلى الجهات المسؤولة، فكان له العديد من الرسائل التي أبرقها إلى محافظ عمالة قسنطينة والحاكم العام ووزير الداخلية، مثل الرسالة التي بعثها إلى وزير الداخلية في 17 أوت 1937 جاء فيها:« إن الأوضاع ببلدية الأوراس المختلطة متوترة جدا بسبب تصرفات السلطة المحلية: انعدام الأمن، منع السكان المجاورين لآريس من دخولها، سوء المعاملة من جانب الرجال الذين يمثلون السلطة، سرقات وعنف وانتهاك للحرمات،مراقبة الرسائل ومصادرتها، تجاوزات كثيرة وغضب شديد من جانب الشعب. والمطلوب هو التدخل السريع لوضع حد لهذه الأوضاع وتجديد الإدارة المحلية، بإدارة قادرة على القيام بواجباتها»[87].

قام الدكتور سعدان بعدة جولات متكررة إلى وادي عبدي ووادي الأبيض وتطرق إلى مناقشة المسائل التي تهم السكان مثل قلة تردد الناس على المؤسسات التعليمية، وبدأ التنديد بتصرفات الحكام خاصة في مسألة كثرة الضرائب التي طرحت على النواب، وأقترح الدكتور سعدان الامتناع عن دفع الضرائب لكن أغلبية النواب رفضوا ذلك[88]. كما بعث بشكوى إلى الحاكم العام Lemoine حول وضعية التعليم بباتنة المتعلقة بحرمان عدد من أبناء الأهالي من الدخول المدرسي لسنة 1934 بحجة نقص الأماكن[89].

كما انتقد الدكتور سعدان بعض النواب الذين لم يكونوا في مستوى طموحات الشعب ولم ينظروا إلى طلباتهم ولم يعملوا على تحقيقها، فقد وجه انتقادا إلى النائب شريف سيسبان النائب المالي بالتقصير وعدم تحقيق أي من الوعود والإصلاحات التي تقدم بها خلال الحملة السابقة ذلك أثناء اجتماع عقد بمسرح باتنة في فيفري 1938، وقال عنه أنه بإمكانه أن يكون نائبا مثاليا إذا

اتبع السياسة التي حددها الدكتور بن جلول وانتقد كثيرا الميزانية التي قدمها النائب خلال فترة عهدته، وقال أنه استغل عهدته من أجل خدمة مصالحه الخاصة وليس من أجل الدفاع عن الأغلبية المسلمة وانتهى بتوجيه نقد لاذع للحاكم العام كارد Carde ضد الإجراءات الإدارية الغير لازمة والتي ليست في محلها خاصة التوقيفات الجائرة والظالمة التي حدثت في كل من بني فرح(الأوراس) و بني سويك(البلدية المختلطة ماكمهون) [90].

ومواصلة لتتبعه لقضايا الأهالي المسلمين قام الدكتور سعدان بدعوة النائب الفرنسي لاقروسيلير Lagrosillére من باريس إلى بسكرة وذلك في افريل 1937 وقدم له تقريرا في لقاء شعبي عام بمدينة بسكرة. وكان محور التقرير حول الاستغلال الفظيع وممارسة العبودية داخل مزارع ديفورج Castant Dufourg(اليد اليمنى لكازناف) الموجودة بسهل لوطاية حيث يستغل مجموعة من الفلاحين من عرش غمرة الذين استولى على أراضيهم بالاتفاق مع موظف مدني وآخر عسكري فرنسي[91].

نتيجة لمواقفه هذه التي امتازت بالجرأة والشرعية، كانت له الإدارة الفرنسية بالمرصاد تحيك ضده المؤامرات وتحبك الدسائس من أجل الإطاحة به وتشويه سمعته في وسط الناس، ولدى الحكومة العامة بالجزائر. وكان كل من كازناف رئيس بلدية بسكرة وهايتز هنري مفتش الشرطة والمعمر ديفورج يقفون له بالمرصاد ويراقبون كل تحركاته.

لقد ذهب بهم الأمر في البداية إلى بث الإدعاءات وإثارة الشكوك حول علاقته كطبيب أهلي مع الأخوات البيض بمستشفى لافيجري، وخاصة الأخت الكبرى وطالبت البلدية بتغيير الطاقم الإداري للمستشفى، وحسب تقرير لرئيس البلدية، أن الدكتور سعدان قد سيطر على إدارة المستشفى، ففي الماضي القريب كان المرضى يستقبلون بالمستشفى بتسريح ممضي من طرف رئيس البلدية، أما الآن فالعكس هو الذي يحدث، فأغلب المرضى يقبلون بالمستشفى بإظهار شهادة طبية استعجاليه ممضية من طرف الدكتور سعدان أو شاطوني. وقد استغل البعض هذه العملية على أنها قضية سياسية وخلاف سياسي.

والأمر الثاني، هو التشكيك في الوصفة الطبية التي يضعها والعلاج الذي يقدمه والأدوية التي يصفها، فتم اتهامه من طرف إدارة آريس في تقرير مؤرخ 19 أكتوبر 1937 بإمضائه شهادات طبية لصالح عمال النقل العمومي وهذا العمل غير قانوني لأن القانون لا يخول له ذلك[92]. كما بعث السيد دوفورج أحد أكبر المعمرين في دائرة باتنة، بشكوى إلى رئيس دائرة عمالة قسنطينة مؤرخة في 2 فيفري 1937 « لقد قام الخماسة في مزرعتي بإضراب وذلك بتحريض من الدكتور سعدان الذي هو عدوي السياسي، ولقد حرضهم على مواصلة الإضراب، وزار نائب رئيس دائرة باتنة من أجل إعلامه بالإضراب وقد كان عدد المضربين 65 شخص»[93].

وقد اتهم أحد أعوان الشرطة ببسكرة الدكتور سعدان بأنه هدده بالضرب وإخراجه من منصبه وشهد عليه شهود من بينهم نائبان بلديان، فرفعت الشرطة القضية إلى المجلس التأديبي وحكم على الدكتور سعدان بثمانية أيام سجنا وخمسين فرنكا خطية، وبعد الاستئناف بمجلس باتنة صدر الحكم بإبطال الحكم الأول الذي أصدرته محكمة بسكرة[94].

لم تتوقف إزعاجات الإدارة الفرنسية على هذا الحد بل عملت أيضا وكعادتها تزوير الانتخابات العمالية سنة1937- 1938 وعملت على إثارة الفتنة وكانت له بالمرصاد حين ترشح سعدان للنيابة المالية وانتخب سنة 1938. وكان رد فعل الإدارة الفرنسية عنيفا أيضا هذه المرة حيث هاجمت الشرطة الفرنسية بقيادة المفتش هيتز هنري تجمعا بنادي الشباب كان يترأسه الدكتور سعدان. وقتل على إثره مناضلين هما موساوي عثمان وزامبوط رابح، وجرح أربعة مناضلين، صحراوي ابراهيم، غمري سوطي، قبوز عبد الله والعباسي ملود. وقد حضر الشيخ بن باديس إلى بسكرة في أربعينية القتيلين[95].

3- نشاطه خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945: خلال هذه الفترة أستدعي الدكتور سعدان رسميا للعمل ضمن القسم الطبي لكنه لم يكن بعيدا عن الحراك السياسي الذي عرفته الحركة الوطنية. كانت الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية مسرحا للأحداث ونزول قوات الحلفاء مما جعل الحركة الوطنية تتحرك بكل اتجاهاتها وتظهر بثوب جديد بعد أن ضيقت عليها الإدارة

الفرنسية الخناق، وشتت شمل كتلة النواب الجزائريين المسلمين، فحررت الحركة الوطنية بيانا اثر اجتماع بمكتب الأستاذ على بومنجل في الجزائر العاصمة وحضره كل من السادة، الصيدلي فرحات عباس والدكتور تامزالي رئيس القسم القبائلي وغرسي أحمد نائب مالي وقاضي عبد القادر مستشار عام والدكتور الأمين وعسلة عضو حزب الشعب الجزائري والشيخ التبسي والشيخ خير الدين والشيخ توفيق المدني من جمعية العلماء المسلمين، ومحمد الهادي جمام رئيس جمعية الطلبة والدكتور سعدان مستشار عام، واتفقوا على نشر بيان يتضمن مطالب الشعب الجزائري. وتمت المصادقة عليه في شهر فيفري 1943[96]. وركز هذا البيان على الجنسية الجزائرية واتحاد الأحزاب ومقاطعة الانتخابات المقبلة، ونتج عن هذا البيان تنظيم يضم الحركة الوطنية عرف باسم أحباب البيان والحرية.

خلال هذه الفترة كان الدكتور سعدان كثير الحركة ويتمتع بنشاط دائم داخل المجلس العمالي، لكن بدأ المرض يتمكن منه، فكان حسب ما أورده الشيخ خير الدين « الشخصية المحبوبة المطاعة المسموعة الكلمة، ورغم العلة التي كانت قد تسربت إلى جسمه فقد كان الحركة الدائمة والنشاط الجم فتراه في المجالس الرسمية والمؤتمرات الشعبية يمثل الروح النقية »[97]. ويضيف الشيخ خير الدين حول بعض مواقفه في هذه الفترة « لقد قرر البيان أن تكون اللغة العربية لغة البلاد الرسمية وكان أول من نفذ القرار فعلا الدكتور سعدان، فقام في جلسة رسمية للنواب العماليين وألقى خطابه الرسمي باللغة العربية الفصحى ولم يتنازل لترجمته بل ترك مهمة ذلك لغيره »[98].

لقد كان للدكتور سعدان نشاطا داخل هذا الحزب، حيث ترأس مؤتمر أحباب البيان أيام 4، 5، 6 مارس 1945 بالعاصمة، وقد حاول حزب الشعب فرض أحد أتباعه لخلافة فرحات عباس بدل الدكتور سعدان الذي غاب بسب المرض[99]. ووقع إجماع المشاركين على اختيار سعدان رئيسا للمؤتمر ووكلت إليه إدارته وتسييره وقد أداره بحنكة ودراية وارضي جميع العناصر[100].

لقد تكثف نشاط الدكتور سعدان خلال هذه الفترة، لكن المرض كان قد تسرب إلى جسمه، ورغم نصائح الأطباء بعدم إجهاد جسمه كان يقول لهم كما

جاء على لسان الشيخ خير الدين: «دعوني أمت واقفا أريد ذلك في خدمة بلادي»[101].

بعد أحداث 8 ماي 1945 ألقت السلطات الفرنسية القبض على الدكتور سعدان بمعية رفيقه فرحات عباس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ويقول فرحات عباس في هذا الشأن « ألقي علي القبض مع الدكتور سعدان في قاعة الانتظار في الولاية العامة بالجزائر 8 مايو على الساعة العاشرة والنصف. وقد جئنا لنهنئ ممثل فرنسا على انتصار الحلفاء»[102]. وقد لبث الدكتور سعدان في السجن شهورا عديدة تعرض خلالها للتعذيب وسؤ المعاملة والاحتقار مما كان سببا في تدهور صحته وبقى في الأميرالية خمسة أشهر ثم نقل إلى قسنطينة واستمر تعذيبه، عندما نقل إلى سوق هراس وحالته الصحية متدهورة، في سيارة مكشوفة وكان زمهرير الشتاء ينفذ إلى جسمه[103]. وهذا ما أدى إلى إصابته بمرض السل الذي بدأ يفتك به. بقي سجينا إلى أن أطلق سراحه في 16 مارس 1946 بعد صدور قانون العفو وإطلاق سراح المساجين السياسيين[104].

4- نشاطه السياسي بعد خروجه من السجن ووفاته 1946- 1948:

خرج الدكتور سعدان من السجن وهو نصف ميت كما وصفه الشيخ خير الدين. وما إن التقط أنفاسه واستعاد بعض قوته حتى عاد إلى نشاطه. كان الدكتور سعدان يقوم بعمل كثيف، لا يطيقه جسمه النحيف، ولا يتحمله جسده الضعيف ووزنه الخفيف، فكان أصدقاؤه يطلبون منه التخفيف، وإعطاء نفسه بعض الراحة، إشفاقا عليه ورأفة به، فيقول لهم: « دعوني أمت واقفا، أريد ذلك في خدمة بلادي »، واصل سعدان نشاطه متحديا المرض الذي أخذ منه الكثير من أجل الرسالة التي آمن بها رغم أن الأطباء نصحوه بعدم إجهاد نفسه وضرورة خلوده للراحة ففي شهر ماي من سنة 1946 استقبل الرئيس الفيتنامي هوشي منه الذي كان في توقف تقني بمطار بسكرة آتيا من هانوي وذاهبا إلى باريس[105].

لما خرج فرحات عباس من السجن أسس حزبا جديدا أطلق عليه اسم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وكان الدكتور سعدان ضمن الأعضاء الأساسيين داخله، ولقد شارك هذا الحزب في انتخابات المجلس التشريعي الثاني

بتاريخ 2 جوان 1946، وترشح الدكتور سعدان لنيابة البرلمان الفرنسي، فكان على رأس قائمة مرشحي عمالة الجزائر ليدافع عن مطالب الجزائريين من خلال هذه الهيئة التشريعية. قال فرحات عباس « فأحرز حزبنا عن إحدى عشر مقعدا في مجموعة ثلاثة عشر مقعدا في عمالة قسنطينة وقد فاز الدكتور سعدان في عمالة الجزائر، وفي عمالة الجزائر أحرز حزبنا على مقعدين من أربعة مقاعد، انتخب الدكتور سعدان طبيب في بسكرة وابن قداش عامل في معمل تجاري بميشلي»[106].

كان نشاط الدكتور سعدان خلال هذه المرحلة التنقل بين باريس والجزائر وعمل جنبا إلى جنب مع فرحات عباس للدفاع عن أهداف الحزب ومطالب وتطلعات الجزائريين، وكانت لهم بعض اللقاءات مع مجموعة من المسئولين داخل الحكومة الفرنسية، واحتكاك مع الصحافة الفرنسية. وحسب رأى الشيخ خير الدين وبعض المعاصرين أن تجربتهم في باريس وداخل البرلمان الفرنسي كانت قاسية، لكن صقلت شخصيتهم وجعلت منهم سياسيين محنكين، « لم يكن لهم عهد بالنيابة البرلمانية إلا متفرجين ولكن الأستاذ الاستعمار اخرج منهم برلمانيين محنكين فكانوا مثار دهشة الجميع، نشاط دائم، وصبر عجيب، وثبات رائع، وحجة دامغة، وبديهة مفعمة وبراعة في المحاورة نادرة »[107]. ولقد أكد على هذا فرحات عباس بقوله: « وبقي علينا أن ندافع عن برنامجنا في باريس حتى نعطيه صبغة قانونية وشرعية، وليس هذا بالأمر الهين لأنه كان علينا أن نكافح في ميدان جديد مجهول لدينا، وكانت وسائلنا ضعيفة، أما النواب الفرنسيون فإن تسعين في المائة منهم كانوا يجهلون حالة المستعمرين(بفتح الميم) لأن الشؤون الاستعمارية كانت من اختصاص بعض الوزراء وبعض الاختصاصيين، وبصفة خاصة أصحاب رؤوس الأموال والبنوك. فشرعنا في العمل بلا كلل ولا ملل، وبأمانة ونزاهة. وكان علينا بادئ ذي بدء أن نبدد جميع الالتباسات ونقطع دابر العادات والأساليب العتيقة »[108]. كما كان الدكتور سعدان أيضا متخوفا من هذه التجربة، حيث كان يخاطب بكلامه وتدخلاته الضمير السياسي الفرنسي داخل حضن البرلمان بنوع من التأنيب والتوبيخ، وكان عليه أن يتكلم بصوت عال وبثقة كبيرة حيث قال:« علي أن أقدم الحقائق.

وأنا أجد نفسي متضايق لأنني أتوجه بكلامي إلى صفوة المجتمع الفرنسي وأخش أن لا يسمعونني. كما أتخوف أن لا يلق كلامي هذا صدى خصوصا أنه صادر عن نائب مسلم يتكلم العربية، و موجه لأناس لا يعرفون ولم يدرسوا المشكل الجزائري على حقيقته»[109].

شرع النواب الجزائريون داخل البرلمان الفرنسي في عرض مشروعهم الجديد وهو تأسيس الجهورية الجزائرية[110]. وإقناع النواب بضرورة وضع قانون جديد للجزائر، والعمل على تحقيق طموحات الفئات الشعبية للحيلولة دون خيبة أملهم. لقد أصبح الدكتور سعدان معروفا لدى الأوساط الفرنسية السياسية بمواقفه ضد الاستعمار، وهو القائل:« إذا لم تعطي لنا فرنسا حقوقنا فسوف نستخلص النتائج »[111]. وتلك المداخلات الجريئة للدكتور سعدان أدت إلى كثرة أعدائه داخل البرلمان، وخلق نوع من الاضطرابات بين النواب الفاشيين الاستعماريين بزعامة المعمر فرانسوا كيليسي François Quilici وبين النواب الرافضين للاستعمار[112].

كان يعني دخول البرلمان، حسب فرحات عباس نهاية مرحلة العزلة السياسية، لذلك كان يأمل في تحقيق الكثير. لكن كم كانت خيبة أمله كبيرة عندما وجد أجواء برلمانية معادية له وللوطنية الجزائرية[113]. لكن رغم هذه الصعاب والعراقيل تمكن النواب الجزائريون داخل البرلمان الفرنسي من طرح مشروعهم والدفاع عن حقوق الجزائريين، وأداروا جلسات البرلمان بحنكة سياسية وقدرات خطابية من أجل إقناع البرلمانيين الفرنسيين. ففي جلسة 23 أوت افتتحت في جو مكهرب، تحدث الجنرال قائلا: « الجزائر قبل الغزو كانت مجرد أدغال للثعالب ». وبكثير من برودة دم ظل عباس وأحمد فرنسيس وسعدان صامتين. وفجأة نهض باي عقون من مكانه مندفعا بعد أن فقد السيطرة على أعصابه، فتحدث عن القوانين والحقوق، وبعدها صعد سعدان إلى المنصة وتحدث عن العنصرية والاغتراب، والقمع، فتطرق إلى مجازر 8 ماي، فصمت النواب الفرنسيون هذه المرة وأضاف سعدان متسائلا: هل أنا فرنسي أم لا؟ ورد الرئيس: أنتم في برلمان فرنسي، وإن لم تدركوا ذلك فأرجعوا. ولم يكن سعدان إلا أن هاجمه قائلا: إذا لم تعطينا فرنسا الحقوق الواجب إعطاءها إيانا،

فإنا سنذهب. وصمت سعدان قليلا ثم أضاف: لا نريد أن نكون سوى رجالا أحرارا. لما ارتفعت الأصوات المستنكرة في القاعة تدخل فرحات عباس قائلا:« لقد انتظرنا هذه الفرصة مدة 116 سنة خلت... فالرجاء كونوا كرماء... فمن المحتمل أننا لا نملك الكيفية... لكن لو حدث هذا 116 سنة خلت، كنا تحصلنا عليها»[114] .

ومن مواقف وآراء الدكتور سعدان داخل البرلمان الفرنسي، وذلك نقلا على لسان معاصريه، «إن انتشار الثقافة الفرنسية في الجزائر سيؤدي إلى قتل الثقافة العربية الإسلامية وهذا ما لا يرضى به أي مواطن». وقال عن ضحايا الثامن من ماي 1945، «إن هذا العدد الكبير من الضحايا الجزائريين قد قضى عليه الجيش الفرنسي باسم حكومة فرنسا... أو بالأحرى باسم الأمة الفرنسية... ولا بد أن يسجل التاريخ هذا العدوان في صفحاته السود، ضد ديمقراطية فرنسا» ومن آرائه أيضا قوله: «كنت ولا زلت أعتقد أنه لا يمكن للرجال الأحرار أن يعطفوا على شعب يقتصر عمله على الأنين، ولا أزال أقول: ويل لشعب يطلب أن يشفق عليه وأن يعيش بالصدقة. ولهذا يجب على الشعب الجزائري الذي يشعر بمصيره أن يعتمد في تحقيقه على نفسه قبل كل شيء»[115].

حقيقة أن النواب المسلمين الجزائريين لم يتوصلوا إلى إقناع النواب الفرنسيين، ولم تأخذ فرنسا بعين الاعتبار مقترحاتهم، على الرغم من الجرأة التي تميزوا بها، والأنفة والعزة ودعوتهم إلى التعايش والاحترام المتبادل. واعتبر النواب الفرنسيون كل ما جاء في تدخلات النواب المسلمين مجرد هراء، فراحوا يسخرون منه في الكواليس تارة وفي العلنية تارة أخرى. لكن في نفس الوقت وفي ظل هذه الظروف تمكن النواب المسلمون من إسماع صوتهم واثبات حضورهم، وتحريك الصحافة الفرنسية خاصة منها اليسارية- فقد نقلت صحيفة الجدل Le journal Débat تدخلات النواب المسلمين بالتفصيل. ونتيجة للجرأة التي تميز بها الدكتور سعدان، وبراعته في الكلام وإقناع العقول، أن السيد آلم بيدو- وزير الخارجية حينذاك – تحدث مع الوالي العام وقال له أمرا: « لا أريد أن يرجع إلي هؤلاء مرة أخرى بأي ثمن كان »[116].

- **وفاته:** عندما اشتد المرض على الدكتور سعدان التجأ إلى إحدى قرى الجنوب في فرنسا بقصد الاستشفاء وهناك لفظ أنفاسه الأخيرة في 26 أكتوبر 1948. لقد نقلت جريدة البصائر نبا وفاته ورثاه الشيخ محمد خير الدين بهذه العبارات،« " مات الحكيم سعدان " في قرية صغيرة من قرى الجنوب الفرنسي، وفي مصحة متواضعة من المصحات الكثيرة في أنحاء فرنسا الجبلية الطيبة المناخ يقضي نحبه ويلفظ أنفاسه الأخيرة بطل من أبطال الكفاح في سبيل الحرية. وخصم من أقوى خصوم الاستعمار وأشدهم شكيمة وأقواهم حجة، وأثبتهم جنانا، وأفصحهم لسانا، وأنصفهم بيانا»[117].

نقل جثمانه إلى مدينة بسكرة حيث شيعه آلاف الجزائريين القادمين من مختلف أنحاء الوطن، وشخصيات وطنية يتقدمهم الشيخ الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي، وفرحات عباس ودفن في مقبرة العزيلات، وقد رثاه الشيخ أحمد سحنون بأبيات شعرية نقشت على قبره:

هنا صارم أغمدته المنون وما كان يألف غمد الجفون
هنا جسدا أنهكته السقام وقلب ألحت عليه الشجون
هنا نام طرف تحدى الكرى ولم يلتفت لحياة الفتون
هنا قبر سعدان رمز الفدى سقاه الغمام بغيث هتون

قال عنه الشيخ بشير الإبراهيمي قبل وفاته بسنتن:« إن سعدان رجل عظيم بحق... لكننا ما عرفنا عظمته حتى أصبح قريبا من الموت». وقال غنه المناضل والشهيد عبد الرحمان بركات: «إن الرجال في الدنيا كثيرون ولكنهم قليلون أولئك الذين يتعبون ليستريح غيرهم ويعملون لينعم سواهم ويموتون لتحيا أمتهم»[118].

الخاتمة:

هكذا كانت حياة الدكتور سعدان مليئة بالنشاط السياسي وحب الوطن والتقرب من المجتمع. لقد حارب بشجاعة ووعي سياسي رشيد كل مظاهر الاستعمار من فقر وجهل ومرض والاستعباد، ودعا إلى اليقظة والوعي والتمسك بالإسلام والقرآن واللغة العربية. قضى الحكيم سعدان كل عمره مكافحا بعلمه وطبه، حارب المرض والقفر وكافح ضد الاستعمار الفرنسي

ونظام حكمه وما كان يسمى بالتراب العسكري في مناطق الجنوب ونشر الوعي السياسي والوطني في هذه المناطق.

ويمكن أن نختم حديثنا عن هذا الرجل ما قاله عنه على مرحوم:« لم يعرف عنه في حياته السياسية موقف ضد مصلحة وطنية، ولا مهاودة أو تساهل فيما يمس بحقوق بلاده، كما عرف عن غيره من محترفي السياسة».

الهوامش:

(1)- علي مرحوم، «رجل عصامي»، البصائر ، لسان حال جمعية العلماء المسلمين، الجزائر، عدد 75 السنة الثانية الاثنين 13 جمادى الثانية 1368 الموافق لـ11 أفريل 1949، ص238.

أما الشيخ خير الدين فيقول أنه ولد بأولاد بوفاهة ثم نزح إلى باتنة فنشأ وترعرع بها. ينظر: الشيخ محمد خير الدين، «مثال رائع من الكفاح الجزائري، مات الحكيم سعدان» البصائر عدد 55 المجلد السادس يوم الاثنين 6 محرم عام 1368 الموافق لـ 8 نوفمبر 1948، ص77.

(2)- علي مرحوم، المصدر نفسه، ص 238.

(3)- ولد في ديسمبر 1902 ببلدة فرفار(إحدى قرى الزاب الغربي) ودرس بها وفي سنة 1916 انتقل إلى قسنطينة إلتحق بالزيتونة حيث تحصل على شهادة التطويع سنة 1925. هو أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. للمزيد ينظر: أسعد لهلالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902-1993، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعى قسنطينة، 2006-2007.

(4)- الشيخ محمد خير الدين، المصدر السابق، ص 77.

(5)- علي مرحوم، المصدر السابق، ص 238.

(6)- عان الدكتور سعدان الكثير حول مسألة زواجه من كتابية، وقد استخدم هذه الورقة الكثير من معارضيه. كما مازح محمد الأمين العمودي صديقه سعدان في ثلاث أبيات شعرية جاء فيها: حي الطبيب ولا تنسى قرينته فهو سليمان والمدام بلقيس

له غلام أطال الله مدته تتنازع العرب فيه والفرنسيس

لا تعذروه إذا ما خان ملته فنصفه صالح والنصف موريس.

(7)- عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة(الجزائر)، 2008، ص 130.

(8)- محمد الهادي الحسني، «الحكيم المناضل، أحمد الشريف سعدان رحمه الله»، جريدة الشروق اليومي، الجزائر، 2013/01/17م.

(9)- الأمير خالد عبد القادر ولد بدمشق في 1875م وتوفي سنة 1936م، تزعم الحركة الوطنية الجزائرية من 1919-1922م. زار الأمير خالد مدينة بسكرة سنة 1922م ومدحه الشاعر محمد الأمين العمودي بقصيدة نشرت بجريدة الإقدام عدد 103 الصادر في 26 نوفمبر 1922م جاء فيها: يا خالد أبقيت ذكرا خالد يفنى الزمان، وليس هو فان

شرفت بسكرة فيوم قدومكم عيد لأهلي الدين والإيمان

(10)- عبد الحليم صيد، المرجع السابق، ص 130.

(11)- Abdelhamid Zerdoum, «Une Evocation: Hakime Saadane le 14 october 1934 à Biskra», journal Ziban(الزيبان), Biskra, 2006, p. 10.

(12)- علي مرحوم: أحد أعلام الإصلاح في الجزائر ولد في قرية بني مسلم من ناحية الميلية بتاريخ 14 مارس 1913م. درس في كل من ميلية وقسنطينة، بعد التخرج درس في مدرسة التربية والتعليم بالجامع الأخضر بقسنطينة. كتب في جريدة الشهاب والبصائر. كان يكتب ملاحظاته ومشاهدته عن القرى والمدن التي يزورها بعنوان حديث المتجول يتناول فيه جوانب النهضة التعليمية وحركة الإصلاح والتعريف بالبلدة والأشخاص. أثناء الثورة التحريرية كان ممثلا لجبهة التحرير الوطني بالمغرب الأقصى، وبعد الاستقلال عمل أستاذا في المتوسط ثم مفتشا للتعليم الابتدائي والمتوسط في دائرة القبة، كما عين أمينا هاما للمجلس الإسلامي الأعلى إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1974م. ينظر: محمد الحسين فضلاء، من أعلام في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2000، الجزء الأول، ص ص 292-193.

(13)- علي مرحوم، المصدر السابق، ص 238

(14)- القرية التي عمل بها الدكتور سعدان هي الذرعان تابعة حاليا لولاية الطارف.

(15)- لزهر بديدة، «أضواء على دور منطقة الزيبان في الحركة الوطنية»، في الملتقى الوطني: منطقة الزيبان في الحركة الوطنية والثورة التحريرية(1919-1962م)، الملتقى الوطني الحادي عشر(بسكرة عبر التاريخ) أيام 26، 27، 28، 29 مارس 2013، بقاعة متحف المجاهد للولاية السادسة التاريخية العقيد محمد شعباني بسكرة، ، منشورات الجمعية الخلدونية، ببسكرة، الطبعة الأولى ، 2016، ص 63.

(16)- علي مرحوم، «العبرة عن حياة رجل»، البصائر، المجلد السادس، العدد 61 يوم الإثنين 25 صفر عام 1368 الموافق ليوم 27 ديسمبر سنة 1948، ص 126.

(17)- المصدر نفسه، ص 126.

(18)- علي مرحوم، «رجل عصامي»، المصدر السابق، ص 238.

(19)- استقرت عائلة Dufourg بمنطقة لوطاية منذ سنة 1852م، وهو أكبر المعمرين ببسكرة لديه أملاك في المنطقة الصحراوية. ينظر:

Mustafa Haddad, L'émergence de l'Algérie moderne, le constantinois (l'est Algérien) entre les deux guerres 1919-1939, Essai d'histoire économique et sociale , imprimerie Guerfi, Batna(Algérie), 2001 tome1, p133.

(20)- علي مرحوم، «رجل عصامي»، المصدر السابق، ص 235.

(21)- محمد خير الدين، المصدر السابق، ص 78.

(22) – محمد العيد، «إحساس أهالي بسكرة نحو الحكيم سعدان»، الشهاب(جريدة سياسية تهذيبية انتقادية شهرية منشئها عبد الحميد بن باديس تصدر بقسنطينة غرة كل شهر)، العدد 78، السنة الثانية، الخميس 2 رجب 1345ه/6 جانفي 1927م، ص 15(713).

(23)- عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقة الزيبان وميزاب بين سنتي 1920-1945، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، بوزريعة، جامعة الجزائر، 2007-208، ص ص 13، 18-19.

(24)- فوزي مصمودي، تاريخ الصحافة والصحافيين في بسكرة من 1900-1956، منشورات الجمعية الخلدونية للدراسات التاريخية، بسكرة، 2006، ص ص 51-56.

(25)- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتهم بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945 الدراسات التاريخية والإديولوجية والمقارن، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص 260.

(26)- المرجع نفسه، ص 263.

(27)- نصر الدين مصمودي، دور ومواقف العقيد محمد شعباني في الثورة وفي مطلع الاستقلال 1945-1964، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر تخصص المقومة والثورة التحريرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2009-2010، ص 24.

(28)- علي مرحوم، «العبرة من حياة رجل»، المصدر السابق، ص 126.

(29)- Mustafa Haddad, Op-cit, p . 51

كان الطاهر بوزيدي، عضو في نادي الترقي وكان يترأس " جمعية التضامن "، ومؤسس جمعية " التعاضد وعمل الخير لإتحاد قبائل الزيبان"، وجمعية " إغاثة العامري بفوغالة".

(30) - Ibid, p . 51

(31) - Ibid, p . 52

(32) - عبد الحميد زكيري، «الدكتور أحمد شريف سعدان، ومضات عن حياته ونضاله»، المجلة الخلدونية، تصدرها الجمعية الخلدونية، بسكرة(الجزائر)، عدد 5، 2006، ص 93

(33)- Le coup de bamboo, Biskra(Algérie), N° 32; jeudi 2 févier 1934 ; p. 4. (الصحيفة العربية)

(34) - علي مرحوم، «العبرة من حياة رجل»، المصدر السابق، ص 126.

(35)-Jean-Luc Einaudi, Un Algérien Maurice Laban, Le cherche midi éditeur, Paris, 1999, p. 18.

(36) - عبد الرحمان بركات، «الذكرى الأربعين لفقيد الجزائر الحكيم سعدان رحمه الله كلمة ألقاها عبد الرحمان البركاتي على قبر فقيد الجزائر»، البصائر(لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، الجزائر، العدد 63، المجلد الأعداد 46-90، يوم الاثنين 10 ربيع الأول عام 10/1368 جانفي 1949، (ص 2)، ص 138.

(37) - سلسلة مشاريع البحث، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007، ص ص 137-138.

(38)-Abdelhamid Zerdoum ; Les Scouts de biskra 1930-1962 Imprimerie El-Manar, Biskra(Algérie), 2002, p. 18 .

(39)- Ibid, p. 18

(40) - الطاهر لقصوري، «تاريخ الكشافة الإسلامية»،المجلة الخلدونية،بسكرة(الجزائر)،عدد 5، 2006، ص ص 136-137.

(41) - المرجع نفسه.

(42) - فوزي مصمودي، المرجع السابق، ص 67.

(43) - لمعرفة المزيد عن هذه الجريدة ينظر: وافية نفطي، « النشاط الصحفي ببسكرة والزيبان من خلال جريدة ضربة الخيزران(Le Coup de Bambou) 1933-1935م »، مداخلة ألقيت في الملتقى الوطني الثاني: سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مواجهة المخططات الاستعمارية الفرنسية 1844-1954، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة بسكرة والمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، بسكرة يومي 29-30 جانفي 2019.

(44) - Abdelhamid Zerdoum , Evocation …, Op-Cit , p. 10.

(45) - عبد الرحمان بركات، «الذكرى الأربعون لفقيد الجزائر الحكيم سعدان»، المصدر السابق، ص 138.

(46)- لخميسي فريح، الثورة الجزائرية في منطقة الزيبان(إرهاصاتها ومسارها) 1914-1956م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2016-2017م، ص 132.

(47)- مولود عويمر، تراث الحركة الإصلاحية ، الجزء الأول، دار قرطبة للنشر والتوزيع، تلمسان(الجزائر)، الطبعة الأولى، 2011، ص 215.

(48) - عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837-1939، دار هومة للطباعة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 ، الجزء الثاني، ص 43.

(49) - المرجع نفسه، ص 38

(50) - نفسه، ص 39.

(51) - عبد القادر قوبع، المرجع السابق، ص 13.

(52) - محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، مؤسسة الضحى، الجزائر، ط. 2، 2000، الجزء الأول، ص 237.

(53) - فوزي مصمودي، المرجع السابق، ص ص 65-66.

(54) - المرجع نفسه، ص 67. أحمد حمار ويقصد به أحمد الأحمر، الذي كان ينعته محمد الأمين العمودي بذلك عندما كان يكتب عنه بهذه الجريدة

(55) - Le coup de bamboo, N° 51, jeudi 4 octobre 1934 , p. 4.

(56) - Le coup de bamboo, N° 50, jeudi 27 septembre 1934, p. 1-2.

(57) - Le coup de bamboo, N° 51, jeudi 4 octobre 1934 , p. 4.

(58) - Ibid.

(59) - Ibid. p. 2.

(60) - لمعرفة المزيد من التفاصيل الحملة الانتخابية ومجريات الانتخابات ينظر: محمد خير الدين، مذكرات...، المصدر السابق، ص ص 237-338.

(61) - عبد الحميد الزكيري، المرجع السابق، ص 94.

(62) - Mahfoud Kaddache ; histoire du nationalisme Algérien ; 1919-1951 ; tome 1 ; 1981 ; p. 380.

(63) - Jean-Luc Einaudi, Op-cit, p. 18.

(64) - محمد خير الدين، مذكرات...، المصدر السابق، ص 239.

(65)-Mahfoud Kaddache, Op-Cit, p. 380.

(66)-Zerdoum ; Evoucation, Op-Cit, p. 10.

(67)-Jean-Luc Einaudi, Op-Cit, p. 19.

(68)-Ibid, p. 19.
(69)-Ibid
(70)-Ibid, p. 20.
(71) - الدفاع: صحيفة أسبوعية صدرت ما بين 1934-1939م، أصدرها محمد الأمين العمودي ناطقة باللغة الفرنسية. كانت مقالات العمودي تحت عناوين الدفاع عن حياة المسلمين وطرح الحجج على شرعية المطالب والتعليق على قرارات وإجراءات الإدارة الفرنسية والرد على أفكار الشخصيات الفاعلة في الحياة السياسية والاجتماعية والدفاع عن الحركة الإصلاحية .
(72) - عبد القادر قوبع، المرجع السابق، ص 13.
(73) - محمد الأمين العمودي: ولد سنة 1892 بوادي سوف من أسرة عريقة في العلم والوعي الوطني، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، ثم نتقل إلى بسكرة لمواصلة دراسته الثانوية لكنه طرد منها فانتقل إلى قسنطينة للدراسة بالمدرسة الرسمية فطرد منها هذه المرة أيضا. لكن ثقافته الواسعة وتمنكه من اللغتين العربية والفرنسية أهله للحصول على وظيفة وكيل شرعي بمدينة بسكرة. هو أحد أعضاء جمعية العلماء البارزين، أسس سنة 1934 جريدة الدفاع الناطقة بالفرنسية وجريدة الجحيم، تم اغتياله من طرف المنظمة السرية المسلحة في أكتوبر 1975. ينظر: محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.س.ن.
(74) - محمد بك، محمد الأمين العمودي ودوره الإصلاحي من خلال جريد الدفاع، رسالة ماجستير في تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2008-2009م، ص 77.
(75)-Jean-Juc Einaudi, Op-Cit, p. 20-21.
(76) - فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ص 151.
(77) - محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ص 277.
(78) - نفسه، ص 280.
(79) - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 45.
(80) - «اجتماع عظيم (يعده الدكتور «سعدان» في بسكرة)»، البصائر، العدد 39، الجزائر يوم الجمعة 30 رجب 1355ه/16 أكتوبر 1936م،(ص 8) ص 320.
(81) - محمد خير الدين، «مات سعدان...»، المرجع السابق، ص 78.
(82) - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 47.

(83) - محمد البشير الإبراهيمي، «المؤتمر الإسلامي الجزائر العام لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة»، البصائر، الجزائر، العدد 24، الجزائر يوم الجمعة 29 ربيع الأول 1355ه/19 جوان 1936م، ص 193.

(84) - لخميسي فريح، المرجع السابق، ص 134.

(85)-Zerdoum, Evocation… , Op-Cit, p . 10.

(86)- Mostafa Haddad, Op-Cit, p. 226.

(87)-Haddad, Op-Cit , p. 226.

(88)-Ibid, p.56.

(89)- Le coup de bamboo, N° 57, dimanche 9 décembre 1934, p. 1.

(90)- Haddad, Op-Cit ; p.105-106.

(91)- Zerdoum, Evocation… ; p. 10.

(92) - Haddad, Op-Cit ; p.40-41 .

(93)- Ibid, p.133.

(94) - «من بسكرة بيان حقيقة»، البصائر، السنة الأولى العدد 1-50، 1345-1355ه/1935-1936م، العدد 17، الجزائر يوم الجمعة 9 صفر 1355ه/1 ماي 1936م، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)، الطبعة الأولى، 2005، ص 143.

(95) - عبد القادر قوبع، المرجع السابق، ص 77.

(96) - فرحات عباس، المصدر السابق، ص 77.

(97) - محمد خير الدين، «ما ت الحكيم سعدان...» المصدر السابق، ص 79.

(98) - نفسه.

(99) - حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل جمهورية، دار المعرفة، الجزائر، ، ص 107.

(100) - محمد خير الدين، «مات الحكيم سعدان»، المصدر السابق، ص 79.

(101) - المصدر نفسه، ص 79.

(102) - فرحات عباس، نفسه، ص 190.

(103) - محمد خير الدين، «مات سعدان...»، ص 79.

(104) - فرحات عباس، المصدر السابق، ص 198.

(105) - Zerdoum, Evocation.

(106) - فرحات عباس، نفسه، ص 198.

(107) - محمد خير الدين، «مات سعدان...»، المصدر السابق، ص 79.

(108) - فرحات عباس، المصدر السابق، ص ص 199-200.

(109)-Zerdoum, Evocation .

(110) - ينظر نص المشروع ومواده في ليل الاستعمار، ص ص 200-202.

(111) - Zerdoum, Evocation

(112)- Zerdoum, Evocation.

(113) - حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص 1207.

(114) - حميد عبد القادر، نفسه، ص ص 121-122.

(115) - ينظر كل من علي مرحوم والشيخ خير الدين وعبد الحميد زردزم. للأسف لم نتمكن من الإلمام بجميع الأقوال والآراء والمواقف حول الدكتور سعدان إلا ما نذر منها، وهي مبعثرة في المصادر الشحيحة.

(116) - محمد خير الدين، «مات سعدان...»، ص 79.

(117) - محمد خير الدين، نفسه، ص 77.

(118) - عبد الرحمان بركات، «الذكرى الأربعين لفقيد الجزائر الحكيم سعدان»، المصدر السابق، ص 138.